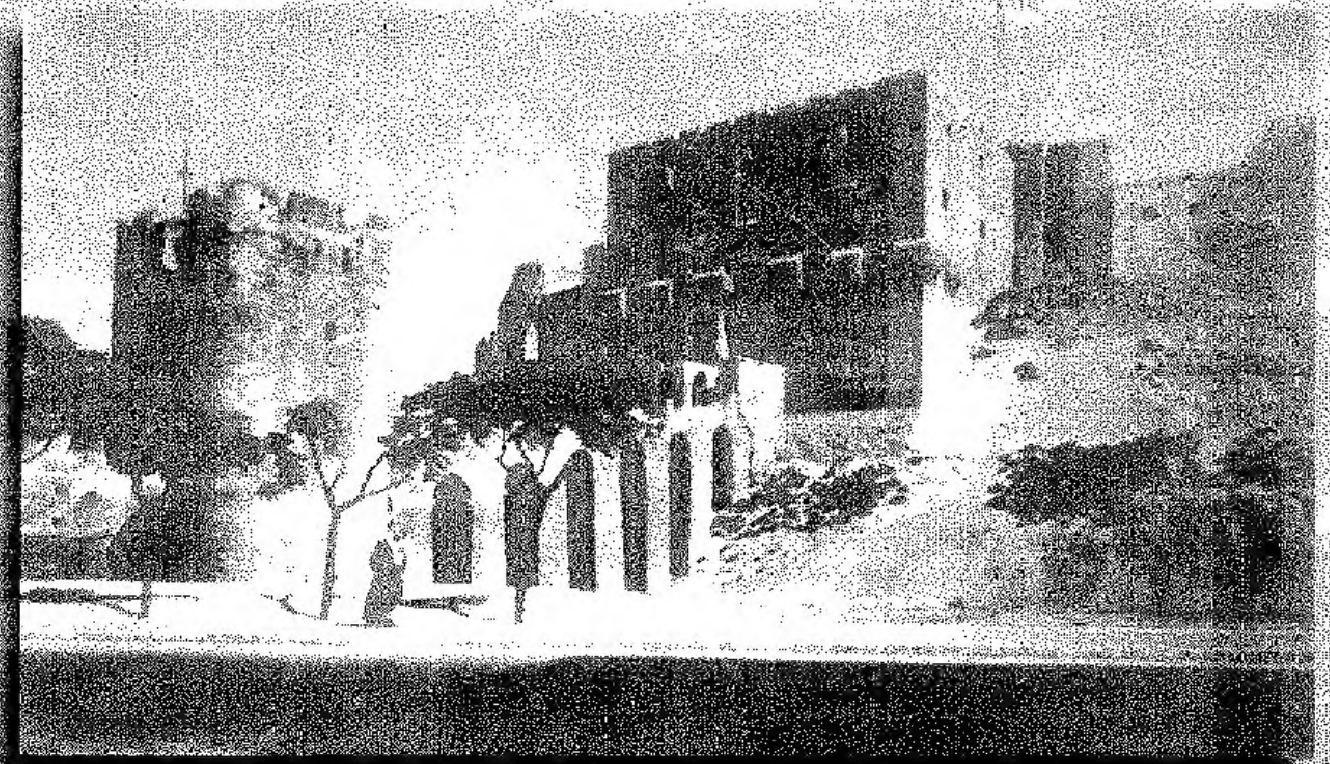


د. محمد رفعت عبد العزيز

الجيش المصري وحروب الشام الأولى

دراسة في ضوء وثائق عابدين



الجيش المصرى وحروب الشام الأولى

١٢٤٧ - ١٢٤٨ هـ / ١٨٣١ - ١٨٣٣ م

دراسة فى ضوء وثائق عابدين

دكتور محمد رفعت عبد العزيز
مدرس التاريخ الحديث والمعاصر
تربية عين شمس

الطبعة الأولى
١٩٩٩



عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية
EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

المستشارون

د. أحمد إبراهيم الهادي

د. شمس‌وقی عبد القوی

د. علي العميري علي

1. قائمة الجاهل

مدير الفحص: محمد عبد الرحمن عفيفي

تصميم الغلاف : منى العيسوي

الناشر : عين الدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية

- شارع ترعة المريوطية - الهرم - ج.م.ع - تليفون ٣٨٧١٦٩٣

ح. پ ۶۵ خالد بن الوليد باللهوم - رمزيويدي ۱۲۵۶۷

Publisher: EIN FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

5, Maryoutia St., Alharam - A.R.E. Tel : 3871693

P. B 65 Khalid Ben - Alwalid - Alharas P. C 12567

شكر واجب

لكل من علمنى حرفا ، فأنا له «عبد لا يقبل العتق»
وبخاصة لأستاذى الدكتور عبد المنعم الجميمى ، فلولاه لما كان
هذا البحث .

مقدمة تحليلية

تذهب بعض الدراسات^(١) إلى أن انتقال مصر - على يد محمد علي - إلى مرحلة الرأسمالية ، إنما تم بتأثير ألباني ، حيث نشأ محمد علي ، وتحديدًا بتأثير علي باشا التبدلتلي ، الذي ينتمي إلى أسرة تركية استقرت في ألبانيا في أواخر القرن السادس عشر ، وعمل أفرادها بعد ذلك في السلك الإداري والحربي العثماني .

أما علي باشا (١٧٤٤-١٨٢٢) فقد تدخل بمهارة - بعد بلوغه سن الرجولة - في الحروب القائمة بين كبار الأمراء في ألبانيا ، وأبدى ولاءه للسلطان ، فعيّنه الباب العالي متصرفًا لصنجر «دلوئي» ، ف قضى على عصابات اللصوص في المنطقة ، في نفس الوقت الذي فرض عليها إتاوات ضخمة لحسابه . وفي عام ١٧٨٨ ، استغل علي باشا سخط سكان «بانيه» على حاكمهم وحرسه فدخلها على رأس جيشه ، معتمدًا على تنظيم سرى بها ، وجعل أعيانها ينتخبون حاكمًا جديدًا ، ولكنه زيف الوثيقة التي سجلت فيها نتيجة الانتخاب وأعلن نفسه فائزًا ، ثم استولى على المناطق المجاورة ، وأقام سلسلة من التحالفات مع البنادقة والفرنسيين والانجليز ، كان يقيرها إذا وجد ميزان القوى يتغير .

١- أحمد صادق سعد : تحول الشكوكين المصري من النمط الآسيوي إلى النمط الرأسمالي ، دار الحديث

بيروت ، ١٩٨١ .

وفى عام ١٨١١ ، ألقى على باشا ببيكوات ألبانيا الجنوبية فى سجونته، وأستولى على أملاكهم وأسروا أطفالهم ونساءهم (١).

ومن الناحية الاقتصادية أصبح على باشا أكبر مالك أرض، وأكبر صاحب موالى وأكبر تاجر فى بلده (٢). كما اتخذ العديد من الإجراءات لتشجيع التجارة ، وفرض الأمن فى البلاد، وأعاد تمهيد الطرق القديمة، كما بنى طرقاً جديدة ، وحفر القنوات لتسهيل الري، وصان الأتهار لجعلها صالحة للملاحة ، وبنى موانئ جديدة. إضافة إلى أنه تولى الالتزام على أملاك السلطان فى أقاليمه (٣) ، ومنها المصايد والملاحات .

كما أنشأ فى بعض ضياعه ورشاً ومصانع يدوية كبيرة الحجم نوعاً وأقام مصنعاً للبارود وآخر لسبك المدافع (٤)، وبنى قلاع وحصونه وقصوره بواسطة السفرة (٥).

٢- زاد محمد على فيما يتعلق بالماليك - وفى نفس السنة أيضا - بأن تغلص من أغلبهم فى منبهة القلعة .

١- زاد محمد على بأن أصبح خليفاً بالوصف الذى وصف به، بأنه الزارع الوحيد، والصانع الوحيد، والتاجر الوحيد فى مصر.

٢- رغم أن محمد على ألقى نظام الالتزام فى مصر ، إلا أنه بدأ عملياً - هو الآخر - وكأنه الملتزم الوحيد بالأراضى المصرية.

٣- توسع محمد على فأنشأ قاعدة حقيقية لصناعة مصرية، وإن رطلها بالجيش ومتطلباته ، فتقلصت بتقلصه فيما بعد .

٤- نفس المرجع ، ص ٢٢٠-٢٢٤ .

ومن الناحية العسكرية حول على باشا التمدد لنلى جزءاً من جيشه إلى فرق نظامية حديثة^(١) وأنشأ مدرسة عسكرية^(٢) لهذا الغرض بالقرب من «بانين» وكان رجال المدفعية لديه تحت إمرة مدرّبين أوروبيين .

١- حاول محمد على أن يدرب العناصر الموجودة لديه على النظم الحديثة، لكنهم ثاروا وقرّضوا عليه، وعندما فقد جزءاً كبيراً من هذه العناصر في حربه ضد الوهابيين بدءاً من عام ١٨١١، وفي فتح السودان عام ١٨٢٠، فإنه وزع باقى هذه القوات غير النظامية على الثغور في شمال الدلتا ليعدهم عن القاهرة حتى لا يكونوا مصدر قلق له . وجلب من السودانيين نحو ثلاثين ألفاً ليكونوا قوام جيشه الحديث لكن ذلك الأثول منهم لعدم ملاءمة البيئة لهم من جهة ، وضعفهم عن تحمل مشاق الخدمة العسكرية من جهة أخرى . ومن ثم لم يكن أمام محمد على إلا الاعتماد على المصريين ، فأخذ يستدعى الخبراء «التعليمية» من أوروبا . وعلى رأس هؤلاء الضابط الفرنسي الذي اعتمد عليه، واقترنت شهرته بإنشاء نواة الجيش المصرى الحديث، وهو الكولونيل سيف Save ، والذي تسمى فيما بعد باسم سليمان الفرنساوى .

وقد بدأ سيف العمل مع أرممئة من ممالك محمد على وعدد آخر من ممالك كبار المصريين وأبناء محمد على نفسه وعلى رأسهم إبراهيم ، وبلغ الجميع ألف شخص . ومنهم تكونت نواة الجيش بعد أن تخرج هؤلاء ضباطاً له، بحيث أصبح في مطلع عام ١٨٢٣ يضم ستة آلايات، ليشتمل كل آلاى على خمس أوط، تتألف الأوط من ٨٠٠ جندي، وبذلك صارت هذه القوة تتألف من ٢٤ ألف جندي . انظر ، الأمير عمر طوسون ، صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد على، الجيش المصرى البرى والبحرى ، مكتبة مدهولى ، ط ٢ ، القاهرة ١٩٩٦ ، ص ٥ وما بعدها .

وانظر أيضا :

Little, Tom : Modern Egypt, London 1968 . p. 33 .

وأيضاً :

Hunter, F. Robert : Egypt under the Khedives, 1805-1879. London 1940 . p. 15 .

٢- تعددت المدارس الحربية التى أنشأها محمد على، منها مدرسة أركان الحرب، ومدرسة المشاة ، مدرسة السوارى، ومدرسة المدفعية وغيرها.. إضافة إلى اهتمامه بالأسطول .

وفى التعليم استخدم على باشا التبدلتلى الخبراء الأجانب بصورة واسعة^(١)، ورغم قسوته وطعنه، فقد بدأ كحاكم مستنير ومتقدم، وكان يهتم بما يجرى فى أوروبا ويجعل مساعديه يترجمون له ما تكتبه الصحف الإقرنجية، كما كان يلتقى بالرحالة الأجانب ليسألهم عن معلوماتهم، وعمل على كسب رجال العلم لخدمته، ولم يكن على باشا يميز بين المسلمين والمسيحيين، بل كان يميل نوعاً إلى هؤلاء الآخرين^(٢).

لقد كان «الحكم المطلق» لعلى باشا التبدلتلى يمثل - من الناحية الموضوعية - طريقاً مساوياً بين النظام السابق الذى كان يتدهور فى ألبانيا والنظام الرأسمالى الوليد. وفى فرمان الذى وجهه السلطان محمود الثانى إلى قائد جيشه، «خورشيد باشا» قال عن على باشا: «.. لقد تمرد ضد حكومتى تمرداً مليئاً بالوقاحة والإدعاء واكتشفنا بصورة لا تدع مجالاً للشك أنه تفاهم سرا مع الثورة اليونانية، وأنه أرسل مبالغ كبيرة إلى «كفار» المورة، ولذا بدأ لى موت هذا المجرم أمراً ضرورياً وحتمياً»^(٣).

١- تعتبر البعثات التعليمية إلى أوروبا - وفرنسا بخاصة - من أهم إنجازات محمد على .

٢- قاما مثلما فعل محمد على . أنظر :

Little, T : Op. cit, p. 36 .

٣- ساهم محمد على فى حرب المورة وبلاد اليونان، وانتهى معادياً للدولة كما فعل على باشا التبدلتلى لكن بوضع مختلف . فقد ورد فى رسالة لإبراهيم بن محمد على بخصوص نفس السلطان- محمود الثانى - «... إن التزاماتنا الدينية والشخصية نحو العالم الإسلامى تتطلب منا ألا نفكر فى مصالحنا فقط، بل وفى صالح ورفاهية وسعادة الأمة الإسلامية- ولذلك سنحاول جهد طاقاتنا لطرده هذا المخلوق اللعين، لئلى يجلس على العرض ورشد» .

انظر لطيفة محمد سالم : الحكم المصرى فى الشام ١٨٣١ - ١٨٤١ . القاهرة ١٩٨٣ ، ص ١٩ .

جدير بالذكر أن على باشا التبدلتلى قتل غدراً عام ١٨٢٢ على يد أحد عملاء السلطان محمود الثانى . انظر ، أحمد صادق سعد : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

هكذا توفرت لمحمد على -ومن مسقط رأسه- تجربة ينهل منها ، بحيث يمكن القول إن تجربة على باشا التبدلنلى مثلت خطوطاً عامة فى التحولات الهامة التى جرت بمصر فى ظل محمد على. لكن ما يهمنا - اتصالاً بموضوعنا- أكثر من التحول إلى الرأسمالية ، هو مقارنة طموحات الرجلين ، وعلاقتهما بالجيران ، وعلاقتهما بالقوى الخارجية وبالسلطان ، والأهم ملاحظة تفوق التلميذ - محمد على - على أستاذه ، إن أقرنا الثقل أو التأثير .

فرغم تشابه الرجلين فى الملكات ، فإننا نقر باختلاف الإمكانيات - أو الظروف الموضوعية - التى من أهمها أن محمد على حكم مصر، دولة السلطنة ، وجاور الشام بوابة مصر ، وأهم بوابات السلطنة، كما رزق بإبراهيم الفاتح الذى فتح الشام فأمن مصر وهدد السلطنة.

وموضوع «الجيش المصرى وحروب الشام الأولى ١٢٤٧هـ - ١٢٤٨هـ الموافق ١٨٣١-١٨٣٣م» يتصل بدراسة عبد المنعم الجميلى الوثائقية «الجيش المصرى وفتح عكا»^(١) حيث وقعت معارك هامة من حروب الشام الأولى أثناء حصار عكا، وبعد التسليم تقدمت قوات الجيش المصرى شمالا ، حتى جاوزت حدود الممكن إلى غير الممكن^(٢) (من وجهة المصالح الأوروبية) . أيضا ، فإنها تعتمد- مثل الدراسة المشار إليها- على مجموعة منتقاة من وثائق عابدين الخاصة ببلاد الشام، والتى تشتمل على مراسلات أرسلها- أو تلقاها- إبراهيم باشا قائد الحملة بتطورات الموقف، الموقف المصرى، أو موقف أهل الشام من القوات المصرية . وقد لا يكتفى إبراهيم باشا بعرض ترتيباته على جبهات القتال فى الشام ، فتتمد نصائحه لتغطى سواحل الدلتا الشمالية ، أو توجد بعض أمور الإدارة فى مصر كما سيلي.

١- دراسة فى ضوء وثائق عابدين ، القاهرة ١٩٨٧ .

٢- عندما بدأت حروب محمد على فى بلاد الشام، كانت حلب هى الحد الأقصى لآماله فيها، انظر محافظ عابدين : محققة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢ م. من محمد على إلى إبراهيم باشا .

ولقد تحددت مطامع محمد على في بلاد الشام منذ وقت مبكر، وتعددت- عند المؤرخين- أسبابه، لكنها لاتخرج عن خطين رئيسيين : الأول أنها كانت حربا دفاعية^(١) والثاني يربطها بالسيطرة وتوسيع النفوذ^(٢) وحلم تكوين الإمبراطورية^(٣).

أما أنصار الحرب الدفاعية ، فيرون أن تقلد محمد على لولاية مصر رغم أنف الجباب العالي، وفشل الدولة العثمانية في زحزحته منها، قد أوجد حالة من التوتر بين الطرفين : فلا

١- لايعجب البعض - مطلقا- من نهوض محمد على بمحاربة السلطان العثماني، فقد كانت تستحشده على ذلك غريزة الدفاع عن النفس .. إذ كان يحارب للمحافظة على جاهد ومنصبه ومكانته، وأكثر من ذلك ، من المحتمل أنه كان يحارب للمحافظة على حياته أيضا .

انظر : عبد الرحمن زكي، حملة الشام الأولى والثانية ، بحث ضمن البحوث التي نشرتها الجمعية الملكية للدراسات التاريخية في ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا، مكتبة مديولى ١٩٩٠ ، ص ٢٩٥ .

٢- يرى الراقصى أنها كانت حربا دفاعية هجومية في آن واحد، انظر ، عبد الرحمن الراقصى : عصر محمد على ط ٥ ، مكتبة مديولى ، القاهرة ١٩٨٩ ، ص ٢١٧ .

٣- كان طبيعيا أن تراود محمد على أحلام الإمبراطورية، خاصة بعدما رأى من ضعف الدولة العثمانية ، لكنه لم يفصح عن ذلك أبدا، من ذلك أنه لما فتح دمشق احتار الناس باسم من يخطبون في صلاة الجمعة ، فأجابهم إبراهيم باشا بأنه عبد للسلطان ويخطبون باسمه ويدعون لمحمد على ، وبعد الاستيلاء على حلب وحمص وبيلا ن طلب إبراهيم باشا من أبيه أن يخطب باسمه في الصلاة وأن تسك له عملة ، فرفض الأب طلبه وتتصور أن تكون امبراطوريته على حساب الولايات العثمانية لا على حساب السلطنة ذاتها أنتظر :

Dodwell . Henry : The founder of modern Egypt. Cambridge, 1931. p. 111 .

وانظر لطيفة محمد سالم : المرجع السابق ، ص ١٨ ، وأنظر أيضا ، عبد الرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٣٩٢-٣٩٣ .

الدولة راضية عن وجوده في مصر ، بدليل إرساله - وهو البعيد - إلى الوهابيين في «حرب الصحراء الأولى» ^(١). لتضرب «عصفورين بحجر واحد» ^(٢)، ولا هو مطمئن - رغم ما قدم- للسلطان «محمود الثاني» أو صدره الأعظم «خسرو باشا» على أثبته مصر، فيضطر إلى تطوير قواته فيها بعيدا عن مآثرات التقاليد الحربية العثمانية، كما أشرنا .

أما أنصار الحرب الهجومية ، أو توسيع النفوذ ، فيذهبون مذاهب شتى؛ فمنهم من يربط هذه الأطماع بفرنسا ، وأنها هي التي أوحى لمحمد علي بفتح الشام حتى تنشغل الدولة العثمانية عنها وعن الجزائر ^(٣). ومنهم من يرجعها - بدون مرجع - إلى إسناد إمارة مكة إلى الابن - إبراهيم باشا - إغاظة للوالد وتفتيتا لقوة الأسرة ^(٤)، فيسرع الوالد - «المفتاظ» إلى احتلال الشام، لكن بمن ؟ بأمير مكة الجديد

١- كثيرا ما اشتكى محمد علي إلى السلطان العثماني من صعوبة حرب الوهابيين ، من ذلك قوله : «... وما يجرى إرساله لحد الآن من المساکر السلطانية، إن كان الخمسة منهم استشهدوا حين المعاربة ، فالخمسة والعشرون منهم يموتون من وخامة الهواء وشدة الحر...» ، انظر وثيقة منشورة في عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولى ، ط ٥ ، دار الكتاب الجامعي - القاهرة ١٩٨٧ ، انظر الملاحق .

٢- يرى البعض أن «الاعتقاد بأن الخسلة الوهابية كانت محاولة من جانب الباب العالي لإنهاء مولود محمد علي وقواته .. هو اعتقاد خيالي ، انظر ، عمر عبد العزيز عمر : تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، ١٥١٧ - ١٩١٩ ، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٣ ، ص ٢٣٠ .

٣- إسماعيل سرهنك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، ج ٣ المطبعة الأميرية ، القاهرة ١٣١٢هـ ، ص ٢٤٤ .

٤- إدوار جوان : مصر في القرن التاسع عشر، تعريب محمد مسعود ، القاهرة ١٩٢١ ، ص ٧٧٣ .

جدير بالذكر أن المؤرخ محمد رفعت يتفق مع جوان في محاولة السلطان العثماني الرقبة بين محمد علي وابنه، لكنه لا يذكر واقعة محددة.

انظر ، محمد رفعت : تاريخ مصر السياسي، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٩٣٩ ، ص ٨٤ .

ما سبق فيه مبالغة من بعض أنصار الحرب الهجومية ، لكن الاقتراب من الواقع التاريخي يوفر منطقاً للبعض الآخر من أنصار هذا الاتجاه . فقد وقر عدم تحقيق الوعود التي تلقاها محمد على نظير خدماته «الجليلة» التي أداها للدولة العثمانية سبباً معقولاً^(١) لكي يستغل نزاعاته مع بعض ولاة الشام ، أو يخلق هو هذه النزاعات لتحقيق حلمه القديم ، والحصول على مقابل لما قدم . ومن ثم فقد توسل في طلب الشام بوسيلتين : الأولى : ربط مصلحته في الشام بحرب الدولة السعودية ، والثانية : التدخل في أمور بلاد الشام واستقطاب ولايتها وأمرائها^(٢) . والوسيلة الأولى لم يسع إليها وإن استغلها ، فقد اقترح على السلطان العثماني - بعدما جاءت الأوامر بالزحف على الجزيرة العربية - أن تخرج عدة جيوش إلى مكة والمدينة - من مصر ومن الشام وعكا وبغداد - في حملة واحدة بحيث «يصبح تنظيم المسألة وإنتاجها أسهل»^(٣) . وفي الوقت الذي قلل فيه محمد على من كفاءة والي الشام - سليمان باشا - وقدرته على الذهاب إلى الحرمين «مع كونه مأموراً أيضاً بذلك» ، فإنه ينسب إلى والي المشار إليه أمورا ، منها اتصاله بالمماليك الذين فروا إلى السودان ، ويحزم محمد على أمره مهدداً بأن «ذهابه إلى الجزيرة العربية مرهون بطرد سليمان باشا من الشام»^(٤) .

١- فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، ترجمة كمال البازجي ، ج٢ ، بيروت ١٩٥٩ ،

2- Holt, P. M : Egypt and the Fertile Crescent 1516-1922 , Apolitical history, London

٣- رسالة من محمد على إلى الصدر الأعظم بتاريخ ١١ محرم ١٢٢٣ هـ الموافق ٩ مارس ١٨٠٨ م.

منشورة في عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : المرجع السابق، ص ٣٦٥-٣٦٧ .

٤- رسالة من محمد على إلى مندوبه في الأستانة بتاريخ ٥ ذي الحجة ، ١٢٢٥ هـ الموافق ١ يناير

لكن محمد على - موارية- لا يطلب الشام لنفسه ، بل يطلبها لصديقه يوسف باشا كنج الذى عزل من منصبه فالتجأ إلى محمد على^(١). وموارية أيضا ، وفى رسالة منه إلى السلطان العثمانى يستفتحها «بالمشى على الوجه» ، يعرض محمد على جهوده فى محاربة السعوديين ، دون أن يكون هدفه - ورب البيت- إبداء الشكوى ، بل كان القصد (أولا) حقيقة الحال و(ثانيا) إفادة أنه لم يكن المراد من طلب الشام، أولا وآخرًا، جر المنفعة ولا توسيع المنصب ، بل مجرد إبراز حسن الخدمة للدين والدولة العلية^(٢).

وتتعدد رسائل محمد على إلى الأستانة تنفى «حصول المنفعة وتوسيع المنصب» ، لكن ما ينفيه محمد على يدفعه لأن يدفع مندوبه فى الأستانة لعرض «ذلك على الباب العالى ، وعلى المحلات العالية الأخرى» ، فقام «بالإفادة والتفهيم ، بوجه التفصيل ، عن أن الوقت هو وقت بذل الهمة فى حصول الملتبس^(٣) ، وأيضاً الأوان هو أوان إعادة إنجاز الوعد^(٤) . ويدت فى الآفاق- حينئذ- بعض الآمال، فقد «عقد مجلس الشورى بضعة مرات، وفى المشورة الأخيرة ، تقرر الاستعلام عن أنه فى حالة توجبه ولاية الشام إلى محمد على كيف يكون النظر فى أمورها ، وبأى وجه تحصل المعونة، وتكون المبادرة لإدارتها^(٥)».

١- رسالة من محمد على إلى السلطان العثمانى بتاريخ ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر ١٨١٠م، منشورة فى نفس المرجع ص ص ٤٠٢-٤٠٤ .

٢- رسالة من محمد على إلى الباب العالى بتاريخ ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ الموافق ٩ أغسطس ١٨١٣م، منشورة فى نفس المرجع ، ص ص ٤٢٠-٤٢٤ .

٣- الملتبس هو ولاية الشام.

٤- المقصود مكافآت على ما قدم من خدمات للدولة العلية.

٥- رسالة إلى محمد على من مندوبه فى الأستانة بتاريخ ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ، الموافق ٢٨ يناير ١٨١٥ ، منشورة فى نفس المرجع ، ص ص ٤٣٣-٤٣٥ .

لكن الرياح أتت بما لم يشتهه محمد علي، بعد حصول «المصلحة» للعثمانيين في الحجاز على يد قواته، تم التسوية في «مصلحته» في الشام فيقرر الهيئته على ولاية وأمراء الشام، والتدخل بينهم إصلاحاً - أو إفساداً - لذات البين، والتوسط بينهم وبين الدولة العلية لأغراض «علوية». فقد تدخل لدى السلطان لتعيين يوسف باشا كنج- الذي عزل من منصبه والتجأ إلى محمد علي كما قلنا- بدلا من عدوه وعدو محمد علي- سليمان باشا- وإلى صيدا، فصدر العفو عن يوسف باشا كنج «وقبل فيه ترجى باشا مصر وشفاعته»^(١).

وفي الصراع الذي نشب بين عبدالله باشا الجزائر وحليفه بشير الشهابي ضد درويش باشا وإلى دمشق، وبعد تدخل مصر، جاء موقف السلطان مؤيدا للطرف الأول، وأوضح الفرمان «أن ما جاء به هو لحاظ محمد علي»^(٢).

بعدها، لم يكن غريبا أن يطلب محمد علي من الأمير بشير الشهابي أن يكون أحد ذراعيه في الحرب، وأن يعلن عبدالله باشا الجزائر أن مقاطعاته هي مقاطعات محمد علي، وأن حصن عكا هو من أقوى حصون حاكم مصر^(٣).

وأخيرا لم يكن غريبا أن يراقب السلطان العثماني أطماع محمد علي، فيقلب له ظهر المجن. فلما قامت حرب المورة كرر محمد علي طلبه إلى السلطان بأن يضاف إليه حكم الشام بجانب حكمه لمصر، تمريضا عما تكبده الجيش المصري من خسائر في هذه الحرب، ونظرا لرفض السلطان، فقد قرر محمد علي ضم هذه البلاد بالقوة.

١- يذكر أن يوسف باشا توفي قبل أن يعود إلى منصبه السابق.

انظر، لطيفة محمد سالم: المرجع السابق، ص ٢٣.

٢- نفسه، ص ٢٥.

٣- نفسه، ص ص ٢٥-٢٦.

وعن التوقيت الذى اختاره محمد على لمحاربة السلطان، ومحاولته اقتناص بلاد الشام منه، فيمكن القول إنه اختار الوقت المناسب لذلك. ففى الوقت الذى كانت فيه الدول الأوروبية منهمكة فى مسائلها الداخلية، وتتنازع كل منها السيادة على أوروبا بعد تصفية الامبراطورية النابليونية، وفى الوقت الذى أصبحت فيه الدولة العثمانية تمثل رجل أوروبا المريض المنهوك القوى، نتيجة للثورات الداخلية التى لاحقتها فى كل جانب، ولحروبها المتعددة التى خرجت منها منهكة القوى. وفى الوقت الذى قامت فيه الدولة العثمانية بتصفية الانكشارية الذين كانوا بمثابة العمود الفقرى للجيش العثمانى، انتهاز محمد على كل هذه الفرص لإظهار قوته أمام السلطان محمود الثانى، وبخاصة أن جيشه كان فى حالة طيبة (١).

وقد تذرع محمد على فى ذلك بتزاعه مع عبدالله باشا الجزائر حاكم عكا، الذى كان قد شجع الآلاف من الفلاحين المصريين الهاربين من عسف جباة ضرائب السلطة فى مصر، باللجوء إلى ولايته. ورفض تسليمهم إليه، فاتهمد بسوء نيته تجاهه، وعدم وفائه بدين عليه، وابتزازه لأموال بعض التجار المصريين، واستيلائه على تجارتهم فى بلاد الشام ومساعدتهم على تهريب بعض البضائع من الجمارك المصرية، ومن هنا قرر إرسال حملة لتأديبه، وعين ابنه إبراهيم باشا قائدا لها، وبالرغم من محاولات السلطان العثمانى التدخل لإصلاح ذات البين، ورغبته فى إطفاء فتيل الحرب بينهما، فإن محمد على كان مصراً على تأديب هذا الوالى، فأرسل طلائع جيشه إلى عكا فى ٧ جماد أول ١٢٤٧ هـ، الموافق أكتوبر ١٨٣١. فاستولت فى طريقها على باقا وحيفا دون مقاومة تذكر.

١- عبد المنعم الجسمى : المرجع السابق، ص ٩.

وحرصاً على عدم انفلات الأمر من الدولة العثمانية كمر السلطان محاولته لرأب الصدع بين الجانبين المتحاربين، ومن جانبه تظاهر محمد علي بالولاء للدولة العثمانية، وألح إلى أن الهدف من حربه «أن يحفظ لمصر شرفها ومكانتها في ظل الذات الشاهانية»^(١)، وأنه في حربه إنما يحارب حاكماً - شبه مستقل - خارجاً عن طاعة الدولة، كما ألح على لسان ابنه إبراهيم بأنه لا مانع من تسوية الموقف، إذا قامت الدولة العثمانية بعزل عبدالله باشا وإلى عكا، وتعيين والٍ آخر حائز ثقة محمد علي^(٢).

ولما تعثرت المفاوضات نتيجة لعدم موافقة السلطان على مطالب محمد علي، أمر الأخير ابنه إبراهيم بمواصلة الحرب وتشديد الحصار على عكا حتى يتم فتحها غير آبه بنصائح السلطان ولا بوعيده^(٣).

هكذا أسقط في يد الدولة العثمانية، وأصبح عليها أن تواجه الرجل الذي كانت تستعين به في الملصات، وهي تدرك ضعف موقفها، وتدرك أكثر أطماعه التي تصل إلى الأناضول «والتوغل فيها توغلاً بليغاً»^(٤)، لذا كان عليها أن تتبع سياسة ذات وجهين : فهي تحاور

١- محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٢٣ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٢- نفس المصدر .

٣- عبد النعم الجميلى : المرجع السابق . ص ١١ .

٤- على حد تعبير إبراهيم باشا ، أنظر : محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

محمد على ، وتحاول فى نفس الوقت تجميع قوات « من جميع أنحاء الأناضول والروم إلى والبوسنة وبلاد الارتنازوط والأستانة »^(١).

وتشرد مخاوف إبراهيم بن محمد على وهو أمام أسوار عكا من ضربة العثمانيين القادمة له فى الشام أو لأبيه فى مصر أو التأثير عليهما معا .

لقد توقع إبراهيم بن محمد على أن يرسل الأسطول العثمانى أمام الإسكندرية أو أبى قمر أو البرلس ، ويقوم - على الأقل - بحاصرة السواحل المصرية ومنع نقل الذخيرة والمهمات إلى الشام مما يعرج القوات المصرية « ويذيقها ضائقة شديدة »^(٢) ومن ثم فقد أهاب بوالده أن يخرج الأسطول المصرى إلى عرض البحر « عارياً من كل زينة » ليقوت الفرصة على العثمانيين ، بل وطلب من والده أن يستدعى بعض القوات المصرية المتمركزة فى جزيرة كريت للمساعدة فى الدفاع عن السواحل المصرية.

لقد كان إبراهيم بن محمد على مبالغاً فى مخاوفه ، ذلك أن الدولة العثمانية حشدت - بالكاد - نحو عشرين ألف مقاتل بقيادة عثمان باشا اللبيب ، والى طرابلس الجديد^(٣)، وتحت

١- محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٠ ، بتاريخ آخر شوال ١٢٤٧هـ الموافق أول أبريل ١٨٣٢ م . المشتعلة على فرمان من السلطان العثمانى محمود الثانى باستاد منصب سر عسكر بلاد الشام لمحمد على باشا والى حلب.

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٢٣ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٣- إضافة إلى من انضم إليه من لقيهم فى طريقه من الأكراد والعرب.

انظر محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩ ، مرسلة فى ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى محمد على.

إمرة محمد علي باشا وإلى حلب الذي اسند إليه منصب سر عسكر بلاد الشام بصلاحيات كبيرة^(١).

وصل جيش عثمان باشا إلى اللاذقية ، وخوفا على ولاية طرابلس، وصلت أوامر إلى إبراهيم بأن يقوم- بقوة كافية- بملاحقة هذا الجيش ، الذي نشأت عن وجوده أضرار كبيرة^(٢)، والقضاء عليه .

لكن إبراهيم يطلب من والده إرجاء هذه الخطوة لأسباب عدة ، منها :

(أ) أن اللاذقية بلدة مكشوفة من كل الجهات .

(ب) أنها بعيدة عن عكا- حيث يتمركز إبراهيم بقواته- بمسافة عشرة أيام وقريبة من حلب مسافة يومين أو ثلاثة على الأكثر، فإذا تم طرد عثمان باشا منها وعادت قوات إبراهيم باشا إلى قواعدها ، لعاد إليها عثمان باشا مع قوات من حلب ، واضاع المجهود سدى.

(ج) لا يمكن لإبراهيم باشا أن يبقى بعض قواته فيها لقلّة الذخائر، والانشغال بحصار عكا.

(د) لنفس الأسباب الثلاثة السابقة، يصعب ترك قوة صغيرة خارج القلعة يمكن أن تتعرض للأخطار الشديدة^(٣).

١- من «عزل ونصب ونفى وتأديب وترقية» انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٠ ، المشتملة على فرمان تولية محمد علي باشا وإلى حلب سر عسكر بلاد الشام. بدون تاريخ (ولكن المرجح أنها في رمضان ١٢٤٧ هـ فبراير ١٨٣٢ م) .

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

لكن إبراهيم باشا لم يكن ليتترك حلفاءه تحت التهديد، فيرسل إلى والى حلب مهدداً بالآ «يتعمد المكان الذى يقيم فيه، وألا يتسبب فى اشعال دائرة الحرب»^(١)، ويرسل فى نفس الوقت الخبراء والأدلاء لرسم خطة الدفاع عن طرابلس، فيكتشف هؤلاء أنها محمية طبيعياً، وأنه يمكن الدفاع عنها بعدد قليل من الرجال^(٢)، بعدها طمأن إبراهيم والده من ناحية البر والبحر أيضاً، حيث أخبره أن تحصينات قد جرت فى قلاع طرابلس وبيروت وصيدا وصور وحيفا، بحيث يتفرغ هو وقواته لحصار عكا، وأنه جاهز استعداد للطوارئ فيما لو هاجمت قوات عثمان باشا طرابلس. حينئذ تستطيع القلعة والقوات الموجودة فى طرابلس المقاومة لحين قدومه، وحصار المحاصرين، واحاطتهم «إحاطة السوار بالمعصم»^(٣).

على أن خطط إبراهيم باشا كلها كانت مرهونة بسلامة الأسطول المصرى. لذلك نجد إبراهيم باشا يناشد والده - بالله وبالرسول - أن يسارع بإخراج الأسطول إلى عرض البحر «عارياً من كل زينة» فيأمن ضربه فى مرابضه، ويحقق وجهتين فى وقت واحد، أو كما عبر إبراهيم: «الوجد الأول أن أسطولنا لا يدعهم أن يلقوا مراسيهم فى أى جهة بإذن الله، فيستحيل عليهم أن يرسوا فى مياه مصر، والوجد الثانى أنهم لن يستطيعوا أن يحاصرونا فى هذه الجهات، فتنحصر مهمتنا إذا فى البر، فأيا رجل أرسلوه فإنهم لا يستطيعون إرسال رجل أشجع وأقوى

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩، فى رمضان ١٢٤٧هـ الموافق فبراير ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٢- ذكر إبراهيم لوالده أن قوة مركبة من خمسين رجلاً مجهزين بالمنايع ومعتمدين على التحصينات الطبيعية يمكن أن تصد جيشاً كبيراً. انظر محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٣- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

من عبدكم إبراهيم، وإن ساقوا أى نوع من الجنود لا يجدون مثل جنود العرب الذين جندتموهم وأرسلتموهم إلى معيتى»^(١).

تحددت أولويات إبراهيم باشا - رغم أوامر والده - فى تأمين مصر أولاً، ثم فتح عكا، ولهذا فهو - من ناحية - يرى عدم إتعاب جيشه باستخدامه فى معارك عديدة الجدى، وجعله مستعداً للطوارئ ومتحفزاً للوثوب على الأعداء، إذا حدثتهم أنفسهم بالهجوم، بل ومطاردتهم إلى داخلية الأناضول^(٢). ومن ناحية أخرى، فهو - على بعد الشقة - ينظم ترقية سواحل مصر الشمالية، ويبدى عدة ملاحظات بخصوص هذه السواحل، منها :

- (أ) تنظيم الإشارات من البرلس إلى حصن العرب .
- (ب) تنظيم الدفاع فيما لو تم إنزال قوات على البر.
- (ج) إعطاء التنبيهات والأوامر اللازمة للعمل بهذه التنابير لرؤساء الجنود (الضباط وصف الضباط) قبل حصول الحوادث بمدة كبيرة.
- (د) لدى الحاجة، يلزم إنشاء معابر ومعديات وإقامة جسور وكبارى عبر النيل لعقل المهمات والعساكر للنقط اللازم الانتقال إليها.
- (هـ) إنشاء بريد الخيالة بين دمياط والإسكندرية .
- (و) تمهيد الطرق اللازمة لجر ونقل المدافع، وتهيئة زوارق ومراكب لنقل الجنود والمهمات .
- (ز) إجراء تعديلات محددة فى بعض المناصب القيادية .

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧ هـ. الموافق ٢٢ فبراير ١٨٣٢، من إبراهيم باشا إلى مصر على .

٢- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ. الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

(ح) إرسال الثقافات لنقل الآيين مديرين تدريبا تاما وقويين (جدا) من جزيرة كريت .

(ط) إجراء تغييرات محددة فى مواقع بعض القوات .

(د) إحداث وحدات جديدة من الخيالة .

ومن ناحية عكا ، كانت خطة إبراهيم باشا تشديد الحصار عليها من البر والبحر ، وضرب قلعتهما بالقنابل من كل الجهات «حتى يذوقوا الموت ، فيضطرون إما إلى فتح أبواب القلعة ، وإما إلى القبض على عبدالله باشا وتسليمه»^(١).

على أن مسألة أخرى بدأت تقلق إبراهيم باشا وأباه معا ، وهى مسألة ولاء ولاية وأمرأء الشام ، الذين كانوا الأكثر حيرة ، وكانت حيرتهم إلى أى الطرفين ينضمون ، ولن تكون الغلبة ! فاتصلوا به إلى حلب فى الوقت الذى أوفدوا فيه وفدا منهم إلى إبراهيم باشا «ليعلموا إن كان له رغبة فى ولايتهم أم هو راغب عنهم» . وكان طبيعيا أن يطمئنهم إبراهيم باشا أنه معهم ، وأنه سوف يرسل إليهم قواته لاحقا بعد انتهاء مهمة عكا لتؤمنهم وتطرد القوات التركية إلى الشمال ، كما أمدهم بكتاب إلى بقية الولاة والأمراء يؤكد على الصداقة والإخلاص^(٢).

وعلى نفس الوتر ، يضرب وإلى حلب وسر عسكر الشام ، فيها هو يرسل خطابا إلى أهل حمص يحذر فيه من «متابعة أهل البغى والفساد ، ويدعو فيه إلى طاعة الدولة السلطانية ولو كان فى ذلك حثف أنفسهم»^(٣).

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤ ، بتاريخ ٣ وجب ١٢٤٧هـ .

الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١ ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٧٥ (بدون تاريخ) ، مكتوبة

مرسلة من معسكر إبراهيم باشا إلى مصر .

٣- ذكر وإلى حلب فى خطابه أن «أربعين ألفا من عساكر المنصورة المحمدية قد دخلت (الآن) حدود

إنطاكية واللاذقية ، وأن السطوة السلطانية قد علأت البر والبحر ، وعمت السهل والوعر ، فالذى يستقيم على»

تحدد مفتاح الشام كله عند أسوار عكا، فلو اقتحم إبراهيم باشا بقواته القلعة لدان له الشام- مكانا وسكانا- ولتقدم شمالا وبسرعة قبل قدوم الجيش التركى القادم من الشمال والذى وصلت - حينئذ - طلائعه. ولو طال الحصار لزادت معنويات المدافعين وقل حماس المهاجمين، ولتردد ولاية الشام، وتشجعت الدولة العثمانية بإرسال قواتها بسرعة لتحصر المحاصرين بينها وبين أسوار القلعة^(١).

ولما كانت عكا محصنة بأسوار متينة، استعصت على نابليون بونابرت من قبل، ولحميها أبراج، ومحاطة بخندق عميق بين جبلين متقابلين يمكنه إعاقة القوات المصرية المتقدمة، فإن الأمر لم يكن سهلا أمام إبراهيم باشا، وزاد من صعوبته استيصال قوات حامية عكا، ودفاعها عن مدينتها دفاع الأبطال، مما أعاق تقدم القوات المصرية، وزاد من فترة الحصار.

وبصرف النظر عن تحرير إبراهيم باشا بتأخر فتح عكا بفشل الأسطول المصرى فى ذلك حصون عكا^(٢)، فإن طول الحصار قد أعطى الفرصة لتكوين جيش

« جادة الانتقاد، ولا يمدد من طريق الرشاد، ينال الأمن والسلامة، والذى يتبع أقاويل المخالفين، ويصنى لأقوال الباغين، يحل به (عن قريب) النكال والشبور ولا تنفعه بعد ذلك الندامة.

انتظر محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٢٣، صورة الوثيقة العربية رقم $\frac{٢٧}{٣}$ بتاريخ ١١ ذى القعدة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٢ أبريل ١٨٣٢ م.

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٦٩ (بدون تاريخ)، من محمد على باشا وإلى حلب وسر عسكر الشام إلى الباب العالى.

٢- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢، من إبراهيم باشا إلى محمد على.

عثمانى^(١) فى منطقة حماه ، مما اضطر إبراهيم باشا إلى مغادرة عكا تاركا إياها للقوات المحاصرة ، وتقدم على رأس قول مؤلف من عشرة آلاف جندى باتجاه طرابلس . فلما وصل إلى مشارفها ، استولى الفزع على عثمان باشا اللبيب فترك مدفعيته وعتاده وولى الأدبار.

قرر إبراهيم باشا مطاردة عثمان باشا . فتجاوز لبنان وأدرك حمص ، وهناك دارت بين الفريقين معركة الزراعة^(٢) التى انتهت بهزيمة وارتداد عثمان باشا إلى حماه ، ينتظر وصول الإمدادات .

أما إبراهيم باشا فقد اتجه بقواته إلى بعلبك^(٣) ينتظر وصول الامدادات التى جاء بها ابن أخيه عباس باشا ، بحيث كونت مع القوات التى كانت معه حاجزا بين القوات التركية فى الشمال وعكا فى الجنوب بحيث يأمن تدخلا تركيا عند اقتحام عكا^(٤).

وهكذا بعد أن نظم - مع سليمان الفرنساوى - الأوضاع الجديدة لقواته فى شمال سوريا

١- كانت طليعته قوات عثمان باشا اللبيب التى هاجمت طرابلس .

٢- قرية جنوى حمص.

٣- لبعلبك موقع استراتيجى هام يسيطر على إقليم الشام. وهى على مسافة متساوية من دمشق وبيروت وطرابلس.

انظر عبد الرحمن زكى ، المرجع السابق ، ص ٣١٦ .

٤- تتضح أهمية بعلبك كحاجز أن إبراهيم باشا ترك فيها أركان حريد سليمان الفرنساوى مع عباس باشا حفيد محمد على بقوات كافية.

انظر ، محافظ عابدين ، محفوظ رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ ، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢ . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

ووسطها ، واطمأنت نفسه للموقف العسكري العام، عاد إلى عكا العتيقة^(١) وعزم على الخلاص نهائيا من اخضاعها وفتحها^(٢) ، لأنها لم تزل شوكة في جنب قواته ، علاوة على ما وصل إليه من أن جيش المشير حسين باشا- سر عسكر الجيش العثماني- قد اجتاز البوسفور^(٣) وتقدمت طلائعه في خطوات حثيثة^(٤).

وإزاء هذا الخطر الرشيك ، طمأن إبراهيم باشا والده- قبل أن يغادر إلى عكا- بأنه «إذا فرض وقعت أى حركة من جانب العدو، فيمكننا أن نلحق بهم (فى بعلبك) فى يوم ونصف اليوم»^(٥). وبعد يومين من وصوله إلى عكا، اجتمع مع أركانه وقرروا فتح الشام بعد فتح

١- التى أغراها غياب إبراهيم فخرجت قواتها من معاقلها وهجمت على القوات المصرية ونجحت فى تدمير بعض استحكامات هذه القوات وردها إلى الوراء .

انظر ، عبد المنعم الجسمى : المرجع السابق ، ص ١٤ .

٢- فى رسالة من محمد على إلى إبراهيم باشا ، قال له : «وإذا وقتنا لفتح عكا تتقوى مصلحتنا الخيرية، وإن تأخر فتحها فليس فى ذلك مدخر ، وأما إذا وجد جنود المخالفين فرجة يتنفلون منها- لا قدر الله- فتسوء الحالة من كل جهة ».

انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ ، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٣- فى ١٢ أبريل ١٨٣٢ م.

٤- عبد الرحمن زكى: المرجع السابق، ص ٣١٧ .

٥- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ ، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

عكا مباشرة ، وحتى إذا فشل اقتحام عكا فقد تقرر فتح الشام بعد ترك قوة كافية أمام أسوار عكا لحصارها (١).

على أن مفاجأة غير سارة كانت تنتظر إبراهيم باشا ، لقد أصدر السلطان خطا شريفا يرمى فيه مصر- وحاكمها- بالمروق ، ثم تبعه بفرمان شاهاني بتجريد محمد علي وإبراهيم وإباحة دمائهما ، بعدها كان طبيعيا أن يصدر مفتى عكا وعلمائها فتوى بأن « من يموت من عساكر عكا يدخل الجنة ومن يموت من عساكر محمد علي يدخل النار » (٢).

على أن الخط الشريف ، والفرمان الشاهاني والفتوى وإن أثرت بالإيجاب على المدافعين عن عكا ، إلا أنها لم تؤثر بالسلب على المحاصرين ، ذلك أن إبراهيم باشا حصل على موافقة جماعية من قواته بأنهم « عبيد سيد واحد » هو والده بالطبع (٣) ، من ناحية أخرى فقد زاد قلق ولاية وأمراء الشام ، فيرسلون مندوبا عنهم « لمشاهدة حالة عكا .. وتعرف ما إذا كانت لدى إبراهيم باشا نية الهجوم على الشام أم لا » (٤).

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥ ، المنسوخة عن جرنال يوم الخميس في ٢٤ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢ .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، صورة المرفق العربي للوثيقة رقم ١٤٠ ، بدون تاريخ .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٩٦ ، من إبراهيم يكن إلى محمد علي ، (بدون تاريخ) .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥ ، المستخرجة من جرنال يوم الخميس، ٢٤ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م .

سقوط عكا :

سقطت عكا- مفتاح حروب الشام الأولى- بعد قتال يوم واحد ، بينما استعصت على نفس الفاتحين قرابة نصف العام، وهو ما يطرح سؤالاً مزدوجاً : ما الذى أطل الحصار ، وما الذى عجل بالانتصار ؟

وللإجابة نعرض - أولاً- لعكا، مكانا وسكانا ، ثم نعرض- ثانيا- للأحداث على شكل يوميات ترصد الفعل ورد الفعل بين قوتين - تفصل بينهما أسوار عكا- وقوى أخرى تتوزع فى دائرة - لم تتسع بعد- محاسنها تركيا ومصر ، وذلك حسب ما يتوفر لنا من وثائق ، نعرضها على شكل يوميات .

وبداية نؤكد أن الاستيلاء على عكا لم يكن بالأمر اليسير، فهي التى وقفت صامدة أمام عبقرية نابليون وعزيمته ، فقد كانت محصنة بأسوار متينة، وتحميها أبراج من الشرق والشمال، أما من جهة البحر فكانت الأسوار أقل متانة من الأسوار القائمة من جهة البر، والمياه المجاورة لها قليلة العمق لاتسمح للسفن الكبيرة بالرسو على مقربة منها، وكانت جميع الحصون فى حالة جيدة وكانت حامية المدينة مؤلفة من ثلاثة آلاف مقاتل^(١) ، ومعهم مدفعية قوية، وكميات وفيرة من المؤن واللخيرة والمياه والطعام ، تكفى الحامية لحصار طويل الأمد. وقد زادت منعتها بعد الإصلاح الذى شملها عقب انسحاب الفرنسيين^(٢).

ولقد زاد من صعوبة المهمة أن قلعة عكا كانت محاطة بخندق عميق بين جبلين متقابلين يمكنه إعاقة القوات المهاجمة^(٣).

١- يضاعف البعض العدد فيجعله ستة آلاف جندي ، أنظر

Dodwell, H: Op. cit. pp: 110-111 .

٢- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٣١٠ .

٣- عبد المنعم الجميلى: المرجع السابق ، ص ص ١٠-١٢ .

أما الأحداث المرتبطة بحصار ثم فتح عكا ، فيمكن رصدها - تمهيدا للإجابة على السؤال السابق - فى ٢٠ يومية على النحو التالى:

١- ٧ جماد أول ١٢٤٧ هـ الموافق ١٤ أكتوبر ١٨٣١ م .

أرسل محمد على طلائع قواته إلى عكا ، فاستولت فى طريقها على باقا وحيفا دون مقاومة تذكر^(١).

٢- ٣ رجب ١٢٤٧ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١ م .

ضربت الحملة المصرية حصارها حول عكا ، وأرسل إبراهيم باشا إنذار إلى والى عكا يطالبه فيه بتسليم القلعة حقناً للدماء ، ونتيجة لرفض عبدالله باشا لهذا الإنذار ، أمر إبراهيم باشا بضرب عكا بالقنابل من جميع الجهات^(٢).

٣- ٣ رجب ١٢٤٧ هـ الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١ م .

لكى يتفادى محمد على المصاعب التى يمكن أن تواجه قواته أمام حصون عكا ، وتوفيراً لجهوده ، فقد أوعز إلى ابنه إبراهيم بمحاولة استمالة أفراد الحامية من جنود عبدالله باشا بالمال ، عن طريق دفع رواتبهم المتأخرة ، ووعدهم بالحماية والتأمينات الكافية ، ولكن ابنه لم يرحب بهذه الفكرة ، بل رأى أنه من العار فعل ذلك ، وأن الطريقة الموصلة إلى استمالة هؤلاء الجنود هى تشديد الحصار عليهم من البر والبحر ، وضرب القلعة بالقنابل والمدافع من كل الجهات ، حتى يذوقوا الموت ، فيضطروا إما إلى فتح أبواب القلعة ، وإما إلى القاء القبض على عبدالله باشا وتسليمه^(٢).

(١-٢) عبد النعم الجميلى: المرجع السابق ، ص ١٠-١٢ .

٣- محافظ عابدين ، محفوظة رقم ٢٣١ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤ ، بتاريخ ٣ رجب ١٢٤٧ هـ .

الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١ م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٤-٤ شعبان ١٢٤٨ هـ الموافق ٨ يناير ١٨٣٢ م.

بدأ- وقت السحر، قبل الصبح بساعة - إطلاق النيران على القلعة من كل جهة ، وقد أكد إبراهيم باشا أن النيران لن تنقطع إلا بعد ذلك الأسوار الشرقية وجعلها في مستوى الأرض ، وبعد تمام دكها سيملاً الخندق بحزومات القش لتمر عليها قراته (١).

٥- بدون تاريخ (٢).

في مقابلة مع وفد من أمراء الشام، أجل إبراهيم باشا أن تنتهي مهمة عكا في غضون عشرة أيام، وأخبر الوفد بأنه لم يشرع (بعد) في ضرب عكا، لأنه مشغول بنقل المهمات والجبيخانات (٣) وإنشاء المتاريس والطوابي (٤).

٦- ٢١ رمضان ١٢٤٨ هـ الموافق ٢٣ فبراير ١٨٣٢ م

ضاق صدر محمد علي من طول الحصار بدون نتيجة، لكن إبراهيم باشا طمأنه بأن أجل عكا قد اقترب اقتراباً محسوساً، واعترف بالتقصير الذي التصق بقواته، إلا أنه وعد والده بأنه لن يتوانى (من الآن)، ورجاء أن ينتظر بشري فتح عكا (لغاية) ثمانية أيام (٥).

٧- ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢ م

لم يلق إبراهيم باشا بالالاعثمان باشا اللبيب الذي هدده طرابلس، وذلك لانشغاله بحصار عكا (٦).

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣١ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤ ، بتاريخ ٣ وجب ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١ م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٢- ترجع أن تكون يوم ١٩ أو ٢٠ رمضان ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٢١-٢٢ فبراير ١٨٣٢ م.

٣- أي مخازن الأسلحة .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٧٥ (بدون تاريخ) ، من معسكر إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٥- ٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤ ، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٨ يناير ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٦- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧ ، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧ هـ ، الموافق ٨ يناير ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٨- بدون تاريخ^(١).

لم يلق إبراهيم باشا - مرة أخرى - بالآلة لتهديدات والي حلب وسرعسكر بلاد الشام، وذلك لأن مصلحة عكا لم تكن قد انتهت بعد، وأمل أن يتم ذلك بعد نحو ثمانية أيام^(٢).

٩- ٦ شوال ١٢٤٧ هـ الموافق ١٨٣٢ م

تمت محاولة جادة لاحتلال القلعة، حيث تم احتلال نصف سورها الشرقي لكن الجنود اضطروا إلى التراجع نظراً للإصابات التي لحقت بضباط المقدمة ولأنهم كانوا في حالة يتعذر معها الحركة بسبب شدة الإزدحام^(٣).

١٠- بدون تاريخ^(٤).

أصدر مفتى وعلماء عكا فتوى فحواها: أن من يموت من عساكر عكا يدخل الجنة، ومن يموت من عساكر محمد علي يدخل النار^(٥).

١- نرجع أن يكون تاريخها ٢٩-٣٠ رمضان ١٢٤٧ هـ الموافق ٢-٣ مارس ١٨٣٢ م.

٢- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩، بدون تاريخ، من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٣- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٠، بتاريخ ١١ شوال ١٢٤٧ هـ، الموافق ١٤ مارس ١٨٣٢ م. من الأميرال عثمان نور الدين سر عسكر الأسطول المصري إلى محمد علي.

جدير بالذكر أن إبراهيم باشا اعترف في رسالة تالية بالسبب الحقيقي لفشل الهجوم على قلعة عكا، وهو بلاء المدافعين عن قلعتهم، وذكر أن «جنوده لما دخلوا القلعة ارتبك العدو، وبعد أن بقي أفرادهم في حالة ذهول لمدة ربع ساعة، تابوا إلى رشدهم، وأخلوا بضرهون المهاجمين ضرباً حملهم على الرجوع».

انظر، محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢، بتاريخ ٢٣ شوال ١٢٤٧ هـ، الموافق ٢٩ مارس ١٨٣٢ م، من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٤- نرجع أن يكون تاريخ هذه الفتوى لاحقاً لإعلان السلطان العثماني عصيان محمد علي وخروجه، وذلك في آخر ذي القعدة ١٢٤٧ هـ. الموافق الأول من مايو ١٨٣٢ م.

٥- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٥، صورة المرفق العربي للوثيقة ١٤٠. بدون تاريخ

١١- ٣ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٤ مايو ١٨٣٢ م

أبلغ محمد على إبنه إبراهيم بأن المحصورين في القلعة يرغبون في محادثة المحاصرين، ويبرر إبراهيم باشا عدم علمه بأن المحصورين بلغوا - بعد الهجوم الفاشل - حد الثثرة، لذا فقد أصدر الأوامر إلى جنوده بعدم الرد عليهم^(١).

١٢- ٩ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٠ مايو ١٨٣٢ م

رغم وصول الأسطول المصري، فلن يتم الهجوم إلا بعد عشرة أيام، حيث لم تنته مصلحة هذه الجهة، وأعمال الطابية والسرداب جارى العمل بهما^(٢).

١٣- ١٠ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١١ مايو ١٨٣٢ م

رفض رجال عبد الله باشا التفاوض، وأطلقوا النار على مندوب إبراهيم باشا^(٣).

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧، بتاريخ ٣ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٤ مايو ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

جدير بالذكر أن إبراهيم باشا بحث الموضوع مع بعض القادة، ووجد أنه لم يلاحظ في جنود عكا امارات الملل واضطراب الحالة النفسية، بل على العكس فكانوا يكيلون الشتائم والسياب، «غير أنه منذ ثلاث ليال، أي منذ وصول أسطولنا يشاهد فيهم الخوف، لذا فقد صدرت الأوامر بمناداة حامية عكا من وراء الاستحكامات ودعوتهم للتسليم».

٢- انظر، محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣، المستخرجة من جرنال يوم الخميس ٣ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ، الموافق ٤ مايو ١٨٣٢ م.

٣- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٨، بتاريخ ١٠ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ، الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢ م، من معسكر عكا إلى محمد على.

١٤ - ١٤ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٥ مايو ١٨٣٢م

أبلغ إبراهيم باشا والده بأنه جاء عكا (ليلة أمس) استعدادا للزحف..... وهو ذاهب غدا، وبإذل جهد طاقته في الانتهاء من نقل المهمات^(١).

١٥ - ١٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م

تأكيد من محمد علي بسرعة إنهاء مسألة عكا، وتهديده بالحضور شخصيا لإنهاء المسألة... وبعد اعتذار إبراهيم باشا عن فشل الهجوم السابق، أكد عزمه على أن يشارك الجنود في الهجوم، والصعود إلى القلعة بنفسه.. وأنه سيقطع أيدي من لا يستعملون أيديهم... وأرجل من لا يستعملون أرجلهم... وألسن من لا يستعملون ألسنتهم^(٢)... وفي الحملة فإن هذه المسألة ستنتهي (هذه المرة) - كما أكد إبراهيم باشا - بفضل همة محمد علي التي تهد الجبال^(٣).

١٦ - ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م

ردا على رأى إبراهيم باشا يردم الخندق المحيط بقلعة عكا بالقش، خشى محمد علي من قيام القوات المدافعة بإشعال النيران في هذا القش في أثناء مرور القوات المصرية عليه، وبنام

١ - محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩، بتاريخ ١٤ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ

الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٢ - برر إبراهيم باشا فشل الهجوم السابق «بخرس الضباط» أي عدم تحريضهم الجنود أثناء الهجوم بالصوت العالي. انظر، محافظ عابدين، محفظة رقم ٣٢٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٧ بتاريخ ١٦ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ، الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٣ - نفس الوثيقة .

على ذلك تم الاتفاق على تفجير بعض الألغام فى هذا الخندق، وضرب الأسوار المجاورة له بالمدايع حتى تنهدم فيردم بالأتربة، وتستطيع القوات الزاحفة عبوره^(١).

١٧- ١٩ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢ م

عابن إبراهيم باشا المنشآت العسكرية الجارى العمل بها، لكنه وجد أنه لم يتم من هذه الإنشاءات إلا حفر سرداب واحد، وقليل من أشغال إحدى الطابقتين... وأن الأدوات والمهمات اللازمة لم تنقل إلى منطقة القتال بعد... وبناء على ذلك فقد نظم كل شغل من أشغال هذه المنشآت وعين عليه مأمورا خاصا، فالمنتظر أن تتم بإذن الله هذه الأعمال (الليلة أو غدا)^(٢).

١٨- ٢٢ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٣ مايو ١٨٣٢ م

محاولة محمد على رفع روح قواته المعنوية، واجتماع الجنود على أنهم «عبيد سيد واحد» هو محمد على^(٣).

١٩- ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢ م

اجتمع إبراهيم باشا مع أركانه، وأعلن أن فتح عكا مؤمل عقب الهجوم الذى تقرر القيام به (هذه المرة) وسوف يكون الهجوم على القلعة من أربعة مواضع، والمأمول من الله فتحها بعد

١- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٠، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ، الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢ م. من محمد على إلى إبراهيم باشا.

٢- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٤، بتاريخ ١٩ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ، الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢ م. من إبراهيم باشا إلى محمد على.

٣- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٩٦، بتاريخ ٢٢ ذى الحجة ١٢٤٧ هـ، الموافق ٢٣ مايو ١٨٣٢ م. من معسكر إبراهيم باشا إلى محمد على.

هذا الهجوم . وفى إجابة عن وضع الشام فى خطط إبراهيم باشا ، أكد أن الهجوم على عكا يقع خلال ثلاثة أيام ، ويتم التحرك نحو الشام بعد خمسة أيام من الهجوم (١) .

٢٠- ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م

تم الهجوم على قلعة عكا (اليوم) فى تمام التاسعة والربع صباحا ، من أجنحة ثلاثة حسب الخطة الموضوعة قبلا (١) وتمكن الجنود المصريون من الصعود على بدنات القلعة ، فقاتلوا العدو زهاء نصف ساعة ثم دفعوه إلى الوراء ، ثم إذا بهؤلاء العساكر ولوا أدبارهم للعدو لسبب غير معلوم ، ثم أخذوا يقتلون بأنفسهم من بدن القلعة إلى الخندق ، واستمر سيلهم يتدفق إلى الخندق هكذا ، حتى لم يبق فرد منهم على بدن القلعة ، لكن إبراهيم باشا استل سيفه ، واعترض هؤلاء العساكر المدبرين ، فتمكن من ردهم إلى بدن القلعة ، وأعاد الحال إلى ما كان عليه (٢) فقد أفاد تقرير فى حوالى العاشرة والربع - أى بعد ساعة من القتال - أن الجنود الذين هجموا من ناحية الزاوية قد اكتسحوا العدو أمامهم ، أما الذين صعدوا إلى القلعة من فوق الباب، فما زالوا يحاولون الدخول مستبسلين فى الهجوم (٣) . وبعد حوالى ساعتين من الهجوم - أى فى الحادية عشرة والربع - وصل خير من إبراهيم باشا بأن المهاجمين

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥ ، المستخرجة عن جورتال يوم

الخميس ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإفادة رقم ١٢٧ ، من معسكر إبراهيم باشا ، بتاريخ ٢٧

ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإفادة رقم ١٣٠ ، من معسكر إبراهيم باشا ، بتاريخ

٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق مايو ١٨٣٢م .

استولوا على المدافع الموجودة على بدنات القلعة^(١) بل وحول الصالح منها للعمل لضرب القلعة من الداخل^(٢).

وأقاد تقرير آخر أن جنود العدو قد التجأوا إلى البدنات التي فى برج الخزينة ، وبرج الكريم ، وجهة السراى والبحر ، وأن الجنود المصريين قد دخلوا من جهات شتى ، وأخذوا فى إرهاب العدو والتشديد عليه^(٣) وبعد تبادل لإطلاق النار - بالمدافع والبنادق - لبضع ساعات ، أرسل إبراهيم باشا بعض الأشخاص لينادوا فى المدافعين كي يطلوها الأمان ، وهو الأمر الذى تم بعد العصر ، حيث جاء وفد من أهل المدينة لمقابلة إبراهيم باشا حيث أعطاهم الأمان وبعد المغرب أوفد إبراهيم باشا أحد ميرلواته لكى يطلب من عبدالله باشا مغادرة القلعة حالا^(٤) وبالفعل حضر عبدالله باشا إلى مقر إقامة إبراهيم باشا معلنا الاستسلام ، حيث أمنت إبراهيم

١- نفس المصدر .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإقادة رقم ١٢٧ . من معسكر إبراهيم باشا بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م.

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإقادة رقم ١٣٠ ، من معسكر إبراهيم باشا إلى محمد على ، بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م.

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢٨ ، من معسكر إبراهيم باشا بتاريخ ٢٧ ذى الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م.

باشا على نفسه . دون أسواله . عكس الحال مع أهل عكا الذين أمنهم على أرواحهم وأموالهم^(١) . وهكذا وفق إبراهيم باشا فى إزالة عقبة عكا^(٢) .

إتصالا بما سبق ، هناك بعض الملاحظات التى يمكن أن تساعد فى الإجابة على السؤال الذى طرحناه ، ما الذى أطل الحصار ؟ وما الذى عجل بالانتصار ؟

أما الملاحظة الأولى ، فهى عدم إشارة الوثائق إلى إشتراك الأسطول المصرى فى ضرب عكا تهيئة للهجوم ، أو أثناء تبادل الضرب ، رغم صرخات إبراهيم باشا السابقة لوالده بأن « يتكرم بتجهيز الأسطول بكل اهتمام ودقة ، وإخراجه مع قباقيين^(٣) فى أقرب وقت^(٤) . ولما كان نفس الأسطول قد فشل فى ضرب عكا من قبل^(٥) نظرا لما أشرنا اليه من قلة عمق المياه المجاورة لعكا بما لا يسمح للسفن الكبيرة بالرسو على مقربة منها ، فإن دور هذا الأسطول - رغم ذلك - كان مؤثرا ، وتمثل تأثيره فى حماية القوات المصرية المحاصرة لعكا من الحصار بواسطة الأسطول العثماني ، وإمداد هذه القوات بما تحتاجه ، فى نفس الوقت الذى يحرم حامية عكا

١- نفس الصدر .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الإفادة رقم ١٣٣ ، من معسكر إبراهيم باشا ، بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م .

٣- القباقي عبادة عن بارجة حربية كبيرة .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤ ، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٣ فبراير ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٥- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨ ، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

من مثل هذه الإمدادات ، إضافة إلى العامل النفسى ، حيث اعترى رجال الحامية الخوف بعد مشاهدة قطع الأسطول المصرى فى مياه عكا ، قبل الهجوم الأخير^(١) .

أما الملاحظة الثانية فهى كثرة الوعود التى وعد بها إبراهيم باشا والده أو مندوبى الشام ، ولم تتحقق بفتح عكا ، والتى بلغت - على الأقل - خمسة وعود ، أما الوعد الذى تحقق بالفعل^(٢) فكان يوم ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م ، حيث أكد إبراهيم باشا أن الهجوم على عكا سيقع بعد ثلاثة أيام ، ويتم التحرك نحو الشام بعد خمسة أيام من الهجوم - وقد تحقق الشق الأول من الوعد ، بينما تأخر الشق الثانى حتى العاشر من محرم ١٢٤٨هـ ، الموافق التاسع من يونيو ١٨٣٢م .

وقد يكون السبب تكتيكا « إبراهيميا » بتشديد الحصار على عكا من البر والبحر ، وضرب القلعة بالتناوب والمدافع من كل الجهات ، حتى يذوقوا مرارة الموت ، فيضطروا إما إلى فتح أبواب القلعة ، وإما إلى القاء القبض على عبدالله باشا وتسليمه^(٣) .

ولكن من المؤكد أن فشل هجوم السادس من شوال كان له أثر فى هذا التأجيل المتوالى^(٤) .

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣ ، المستخرجة من جرنال يوم الخميس ٣ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٤ مايو ١٨٣٢م .

٢- إضافة إلى محاولة الهجوم الفاشلة التى تمت يوم السادس من شوال ١٢٤٧هـ ، الموافق التاسع من مارس ١٨٣٢م .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣١ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٤ ، بتاريخ ٣ رجب ١٢٤٧هـ ، الموافق ٨ ديسمبر ١٨٣١م . من إبراهيم باشا الى محمد على .

٤- أشرنا من قبل إلى أن أهالى عكا كالوا الشتائم والسباب للقوات المصرية ، لدرجة منع معها إبراهيم باشا جنوده من الرد عليهم ، وذلك لسوء وقع هذا الفعل .

وتحسبا للهجوم التالي - وحتى يكون الأخير - أشرف إبراهيم باشا بنفسه على الاستعدادات، فوجد أوجه تقصير عاجلها بإشرافه المباشر^(١)، مما تسبب في بعض التأخير .

أما الملاحظة الثالثة فهي إصرار إبراهيم باشا على الانتهاء من مسألة عكا، رغم أوامر والده مراراً^(٢)، بل وخوفه^(٣). ورغم ترك إبراهيم باشا لعكا - بعد ضغط محمد علي - لمقابلة قوات قادمة من الشمال، ثم عودته إلى الجنوب، ورغم إتفاقه مع أركان حربه قبل الهجوم الأخير، بالتحرك نحو الشام لو فشل هذا الهجوم، بعد ترك قوة كافية أمام أسوار عكا لحصارها^(٤)، إلا أنه كان يصّر دائماً على العودة لفتح عكا، ولا يفسر هذا الإصرار - في رأينا - خطورة حقيقية من عكا تضع - مع الجيش العثماني - قوات إبراهيم باشا بين فكي كماشة - بقدر ما يفسره « أن يحفظ لمصر (ولنفسه) شرقها ومكانتها »^(٥) أو أن ينهي المسألة « رقعا لمكاتة ولي النعم (محمد علي) وإعلاء لشأنه، وهياج بحر حميته الخديوية »^(٦).

١- محافظ عابدين و محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٤، بتاريخ ١٩ ذي الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٠ مايو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٢- أنظر على سبيل المثال : محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧، بتاريخ ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٣- سبق أن أشرنا إلى رسالة محمد علي إلى ابنه، والتي قال له فيها « وأما إذا وجد جنود المخالفين فرجة يتنفقون منها - لا قدر الله - فتسوء الحالة من كل جهة » .

٤- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤ ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥، المستخرجة عن جرنال يوم الخميس ٢٤ ذي الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢م .

٥- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٨، بتاريخ ٢٣ رمضان ١٢٤٧هـ، الموافق ٢٥ فبراير ١٨٣٢م. من إبراهيم باشا إلى محمد علي.

٦- محافظ عابدين، محفظة رقم ٢٣٤، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٧، بتاريخ ١٦ ذي الحجة ١٢٤٧هـ، الموافق ١٧ مايو ١٨٣٢م، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

أما الملاحظة الرابعة ، فهي تلك الروح العالية التي تحلى بها المدافعون عن عكا ، والتي تجلت فى مظاهر عدة منها : صمودهم للحصار الطويل ، رغم الضغط المتواصل ، وصدهم لهجوم السادس من شوال ١٢٤٧هـ (التاسع من مارس ١٨٣٢م) ، رغم فارق موازين القوى ، وجرأتهم فى الخروج من القلعة - بعد ما غادر إبراهيم باشا الى الشمال لمقابلة قوات عثمان باشا اللبيب . وإخراجهم القوات المصرية المحاصرة وزحزحتها من مكانها^(١) . ثم رفضهم للتسليم ، وإطلاق النار على مندوب إبراهيم باشا^(٢) . وحتى أثناء الهجوم الأخير - وحسب البلاغ عن أعمال الجيش المصرى - لم يصغ أهل عكا لتداء إبراهيم لهم بالتسليم وإعطائهم الأمان ، وبدلا من ذلك لوحوا له بسيوفهم^(٣) .

ومع هذا - مع الحماس والروح العالية - كانت مسألة عكا محسومة مقدما ، وكانت مسألة وقت ، حيث ظهرت - مع الوقت - عوامل أضعفت من ذلك الحماس ، وتلك الروح العالية ، وهو الأمر الذى سنعرضه بطريقة « دياكتيكية » - أى الجمع بين الشئ ونقيضه - كما يلى :

(أ) كانت عكا متينة التحصين ، لم تستعص فقط على نابيلون ، بل وزادت مناعة بعد رحيله بما أدخل عليها من تحسينات ، ومع هذا لم تكن لتصد للأبد أمام ضرب المدافع وسقوط القنابل . فإن حجرا يسقط ، يتخلع معه قلب مدافع ، ولا يتيسر إعادته إلى مكانه وقت الحرب .

١- عبدالمعظم الجمبلي : المرجع السابق ، ص ١٤ .

٢- محافظ عابدين ، محفوظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٤٨ ، بتاريخ ١٠ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ١١ مايو ١٨٣٢م . من مذكر إبراهيم باشا الى محمد على .

٣- محافظ عابدين ، محفوظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢٨ ، بتاريخ ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٨ مايو ١٨٣٢م . بلاغ من أعمال الجيش المصرى .

(ب) كان من أسباب صمود عكا أمام نابليون مساعدة الأسطول العثماني لحاميتها من البحر ، وهو ما توفر لها فى أيام الحصار الأولى ، وأمام استغاثات إبراهيم باشا المتوالية . كما أوضحنا . ظهر الأسطول المصرى أمام سواحل الشام بعامة وعكا بخاصة ، فتراوى الأسطول العثماني ، وتوارت معه شجاعة الشجعان شيئا فشيئا .

(ج) وعلى ذكر العثمانيين ، فإن جيشا عثمانيا يطول انتظاره ، ويقل انتصاره ، كفيل بخفض الروح مهما كانت عالية ، عكس الحال مع القوات المصرية التى كانت تتحرك شمالا لتحقيق الانتصار ، وتعود جنوبا لتواصل الحصار . وحتى الفتوى التى أصدرها السلطان العثماني ، لم تخرج محمد على كثيرا ، فالسيف أصدق إنباء من الكتب ، ولا شك أن إبراهيم باشا قد أدخل فى رأس جنوده أن من يموت من عساكره يدخل الجنة ، ومن يموت من عساكر عكا يدخل النار ، ولن يعدم فى ذلك فتوى لو أراد .. إنه لعب فى المنطقة المتداخلة بين الدين والسياسة .. إن جنود محمد على فى نظر السلطان العثماني ورجاله « مخالفون » و« خارجون » ، كذلك فإن جنود السلطان « مخالفون » فى نظر محمد على وقواته^(١) .

(د) رغم أن عبدالله باشا الجزائر وجنوده ، دخلوا التاريخ مرتين ، مرة يوم قاوموا نابليون .. ولم يدخلوه عكا .. وهذه المرة .. وقد قاوموا القوات المصرية ، وإن خرجوا من عكا ، رغم ماسبق ، فإن إبراهيم باشا ورجاله قد دخلوا التاريخ للسبب الثانى ، ولأنهم - أولا - قد قهروا من قاوم نابليون العظيم ... أليس إبراهيم هو القاتل عن نفسه - لأبيه ويفخر

١- كمشال للحالة الأولى ، أنظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٣ ، صورة الوثيقة العربية رقم ٢٧/٢ ، صورة مرسوم والى حلب إلى أهل حمص ، بتاريخ ١١ ذى القعدة ١٢٤٧هـ الموافق ١٢ أبريل ١٨٣٢م . وكمشال للحالة الثانية ، أنظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ ، بتاريخ ١٨ ذى الحجة ١٢٤٧هـ ، الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م .

حقيقى .. فأيما رجل أرسلوه (يقصد العثمانيين) فإنهم لا يستطيعون إرسال رجل أشجع وأقوى من عبدكم إبراهيم ، والقائل عن رجاله - بفخر حقيقى أيضا ، أثبتته ماسبق ، وأكدته ما لحق - ... وإن ساقوا أى نوع من الجنود ، لا يجدون مثل جنود العرب ، الذين جندقوهم وأرسلتهم إلي معيتى^(١).... ولو تساوى الجند ما تساوت الامكانيات.

(هـ) إذا ما أضفنا إلى كل ماسبق تدهور الأحوال فى عكا مع الوقت ، وتناقص أفراد الحامية ، وقلة المواد الغذائية ، وتقضى الأمراض بين الناس ، لأدركنا لماذا كان إبراهيم باشا مصرا على فتحها .. إنها الثقة المحسوبة .

مهما يكن من أمر ... فقد سقطت عكا ، وكان على إبراهيم باشا وقواته أن يرتبوا للخطوة التالية .

* * *

أضفى فتح عكا على المصريين السرور والابتهاج^(٢) بينما أصاب الدوائر الحكومية العثمانية باليأس والحزن الشديدين ، فلم يكن أحد هناك ينتظر فتح عكا^(٣) . على أن الفرح لم يستغرق القيادة المصرية طويلا ، فقد أرادت « الطرقة على الحديد وهو

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٤ ، بتاريخ ٢١ رمضان ١٢٤٧هـ ،

الموافق ٢٣ فبراير ١٨٣٢ م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٢- محافظ عابدين ، وثيقة بدون تاريخ ، عنوانها ، « وصف وصول عبدالله باشا إلى الاسكندرية ومقاومة

محمد على له .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ ، بتاريخ محرم ١٢٤٨هـ الموافق

يونيو ١٨٣٢ م . ترجمة الكتاب الرومى العبارة (التركي) الوارد من الخواجة تروسيجه باسطنبول .

ساخن»^(١) فى حين لم يزايل الحزن اسطنبول . أكثر من هذا ، فقد أفادت الأنباء أن العساكر العثمانية كانت تعاني أزمة شديدة فى المؤن والمهمات وبقية اللوازم ، وفى النقود بصفة خاصة ، إذ لم يصرف للجيش منذ تحركه من اسطنبول إلا مبلغ ثلاثة آلاف كيسة ، ويشعر خسرو باشا بخوف شديد ، فالوقت (الحالى) أنحس الأوقات بالنسبة له ، فإن له عدوا هاتلا ، وبناء على هذا السبب لا يغيب عن حضرة السلطان دقيقة واحدة^(٢) .

لنترك العثمانيين يتسربلون فى أحزانهم ، وتتابع إبراهيم باشا المنتشى بنصره^(٣) وهو ينظم لوائمه عكا ، ثم يلتحق مع جنوده بالجيش المعسكر فى زحلة ويعلمك وطرابلس . بعدها كان على إبراهيم باشا أن يختار بين خطتين ، الأولى أن يهاجم الجيش العثمانى فى حمص ، والثانية أن يهاجم دمشق ، وقد رجحت الخطة الثانية لأسباب ثلاثة : الأول أنها عاصمة القطر، وسقوطها يؤدى إلى سقوط الجهات التابعة لها ، والثانى أن الزحف على حمص وحلب يقع فى أشهر الصيف (يونيو ، يوليو ، أغسطس) فتتهك فيها قوى الطرف الذى يتجشم السفر، والثالث ، أن الشاميين متلونون ، ولا يأمن وقوع الفتنة فى مؤخرته إذا سار إلى حمص وحلب

١- مثل تركي ورد كثيرا فى المراسلات بين محمد على وابنه إبراهيم . انظر محافظ عابدين ، محفظه رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٤ ، بتاريخ ٩ محرم ١٢٤٨هـ ، الموافق ٨ يونيو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٢- محافظ عابدين ، محفظه رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨ ، بتاريخ محرم ١٢٤٨هـ الموافق يونيو ١٨٣٢م . ترجمة الكتاب الوارد من الخواجة توسيجده .

٣- فى موقف مماثل - بعد معركة حمص التالية - عبر إبراهيم باشا بقوله : « وقد استولينا على حلب - وأقمنا بها كالإسكندر ، تحقنا مظاهر الأبهة والعظمة ، وأخذنا نسن سيرتنا ورماحتنا ، وقد طأطأ العدو المنحوس رأسه أمام سيف محمد على البتار ، ورمح إبراهيم قاتلا « آمنا وصلقنا » . انظر محافظ عابدين ، محفظه رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١ ، بتاريخ ٢١ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى سامى بك (سكرتير محمد على) .

دون أن يفتح دمشق^(١) . لهذا كله رأى إبراهيم باشا أن يزحف أولاً إلى الشام (دمشق) حتى إذا فرغ من أمرها ، يصل إلى بعلبك - حيث وديانها والبقاع معسورة ، فلا يعانى الضيق فى التموين - ومنها إلى حمص.

وهنا ، نشير إلى أن إبراهيم باشا لم يناقش هذه الخطة مع قواده - لأول مرة حسب علمنا - بل ناقشها مع الأمير بشير الشهابى ، وحجته فى ذلك - إلى والده - « أنه لو ناقشهم لقالوا بلسان واحد « سكرًا سكرًا » مثل البيغاء .! كما نشير إلى خطة إبراهيم باشا خلال شهور الصيف التى يقضيها فى بعلبك ، لقد قرر أن يستخدم قواته غير النظامية للإغارة على القوات العثمانية المرابطة فى حمص « فلا يذيقهم طعم الراحة »^(٢) .

بناء على ما سبق ، قرر إبراهيم باشا القيام إلى دمشق فى يوم السبت الحادى عشر من المحرم ١٢٤٨هـ ، العاشر من يونيو ١٨٣٢م .

تأخر إبراهيم باشا - كعادته^(٣) - عن الموعد المضروب ، فوصل ضواحي دمشق فى الخامس عشر من المحرم ١٢٤٨هـ، الموافق ١٤ يونيو ١٨٣٢م ، برفقة الأمير بشير الشهابى ، على

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٣٨ / ٥ ، بتاريخ ٢١ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٠ يونيو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٢- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٤ ، بتاريخ ٩ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٨ يونيو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٣- فى أحايين كثيرة كان إبراهيم باشا يعزى سبب تأخيره إلى تأخر الإمدادات التى تأتية من مصر ، لدرجة خاطب معها والده بقوله : « ... ولست أدري هل الحديد بمصر موضوع فى الثلج » وذلك مقابلة لطلب والده الذى تكرر « بالطرق على الحديد وهو ساخن » أنظر على سبيل المثال : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٨٠ / ٥ ، بتاريخ ٢٨ محرم ١٢٤٨هـ، الموافق ٢٧ يونيو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد على .

رأس ١٨٠٠ من المقاتلين ، وبعد مصادمة غير عنيفة بالأتراك ولوا أمامه هارين ، فدخل دمشق^(١) ، وقابله الأهالي بفرح واغتباط ، وجعل دمشق مقر الحكومة المصرية في الشام ، ورتب الإدارة فيها على نسق جديد ، وعين عليها حاكما ، وأقام لها حامية^(٢) .

وصلت بشرى فتح دمشق في الثاني والعشرين من المحرم ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢ م ، « فشم منها محمد علي أريج الجنة .. فأهتزت لها القلوب والمشاعر ، وشمل رباها كل مكان^(٣) » ، ومع نشوة النصر يأمر محمد علي إبنه بمواصلة الزحف نحو حلب الشهباء^(٤) ، التي هي الحد الأقصى لآمال محمد علي ، بدون مسالة بقسوة الصيف وحره ، كما نصحه باستخدام من معه من عناصر مختلفة ، لاستمالة مختلف البلدان^(٥) .

وفى رده على رسالة أبيه ، يكشف إبراهيم باشا الفرق بين معسكرين أحدهما يعتمد على التخطيط ، والآخر طابعه الإرتجال ، بما يكشف مقدما نتيجة الصراع . فقبل وصوله إلى مشارف دمشق بيومين ، تتم مناقشة تفاصيل خطة القضاء على جيش حمص ، والاستيلاء على حلب ، إذا تم الاستيلاء على دمشق

١- أو اللجنة العالية ، كما أطلق عليها إبراهيم باشا ، أنظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٢ صفر ١٢٤٨ هـ ، الموافق ١١ يوليو ١٨٣٢ م ، من إبراهيم باشا إلى سامى بك .

٢- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق ، ص ٣٢٢ .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ ، بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٢٧ يونيو ١٨٣٢ م ، من محمد علي إلى إبراهيم باشا .

٤- عملا بالمثل السابق الإشارة إلى تكراره .

٥- نفس الوثيقة .

هل هي الثقة المحسوبة ، التي أشرنا إليها من قبل ؟ أم هو التخطيط الواجب لكل خطوة قبل البدء بخطوات ؟

لقد افترق قواد ابراهيم باشا فريقين ، فريق ذهب إلى مواصلة الزحف إلى حلب ، بدون توقف ، بعد الفراغ من أمر حمص ، وفريق قال بعدم التقدم نحو الأمام والانتظار حتى يأتي الجيش العثماني بأقدامه . لكن ابراهيم باشا يقلب الأمر من جميع وجوهه ، مع الأمير بشير الشهابي^(١) ، واتفقا على الخطوة التالية^(٢) :

١- الذي أصبح له دور ملحوظ (الآن) بعد اشتراكه في فتح عكا . أنظر .

Holt , P.M: Op. cit, p. 185 .

٢- تكرر أهمال ابراهيم باشا (مؤخرًا) لرأى قواده ، ونعتقد أن هذا الأمر يعود إلى موقفين ، الأول : فشل هجوم السادس من شوال ١٢٤٧هـ ، الموافق ٩ مارس ١٨٣٢ م . تم لما ذهب لمعاينة المنشآت العسكرية قبل فتح عكا بأسرع ، ووجدها على غير مايشتهي ولاثم خطورة المعركة (القادمة) مما أشرنا إليه من قبل . فبعد الموقف الأول يخبر والده بأن القواد الذين يدركون الدقائق الحربية ويقدرين على التصرفات الواجبة وفقا لها قليلة العدد ... وأن الضباط الموجودين (هنا) أصبحوا أشباحاً لا أرواح لها .. وبعد الموقف الثاني ، يصف ابراهيم باشا قواده بأنهم كالبيغاء . عموماً ستمحور الانتصارات الباهرة (التالية) كل هذه الآثار السلبية و يصبح أى واحد من جنوده المنصورة ، بل أقل واحد منهم لا يتأخر عن تضحية نفسه في سبيل شرف شعبه . وتحقيق أمنية سيده ويصول على العذر ويقا تل كأسد الله الغالب (يقصد الإمام على) ، وكل فرد منهم يحمر كلون الورد ، وتفوح رائحته كشذى الورد .

انظر : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢ .

محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٤ .

محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٥ .

« نقوم من هنا ومعنا من المعدات ما يكفي لإيصالنا إلى حد حلب وبعد ما نضرب حمص ، ننظر إلى الحالة ، فإذا هزمنا العدو ، واستطعنا تفكيك عري جيشة تفكيكا لا يرجي معه لم شعئهم فيما بعد ، لا تركهم ونطاردهم إلى حد حلب ، وأما إذا لم نستطع ذلك ، بحيث يقدرين على أن ينسحبوا انسحابا منظما . فلا نتقدم إلى الأمام ، فإنهم على التقدير الأول لا يقدرين على الصمود في حلب ، فندخلها بسهولة . وعلى التقدير الثاني فيصمدون فيها ، ويجب علينا حينئذ محاصرة حلب ، وفي هذه الحالة إذا فرض وجاء جيشهم الذي في الراء ، نستهدف لخطر الوقوع في البين ، أعتى أننا لا نستطيع ترك الحصار والهجوم على جيشهم ، ولا نتخلى عن جيشهم لمراصلة الحصار . ولقد قرر قرارنا على هذا الرأي . فسنقيم مدة خمسة أو ستة أيام أخرى ، نعد خلالها الجبال وسائر المعدات اللازمة وبعد إتمام هذه الأمور نقصد إلى وجهتنا » (١) .

بل إن إبراهيم باشا لا يركن إلى تفاؤل والده بالأى يمكن سكان حلب مهزومي حمص من دخول مدينتهم ، ويربط الموقف بحالة الانسحاب ، فإذا كان انسحابا منظما إلى الراء ، فلا يستطيع الحلبيون منعهم من الدخول ، بل ويضيف : « .. بل يهرعون لاستقبالهم بالتعظيم والتوقير » (٢) . أنها حالة « التلون » التى أشرنا إليها منذ قليل .

لنذهب إلى الجانب المقابل ، ونقابل بين الحسابات والفوضى . لقد كان المشير حسين باشا « سرعسكر الجيش العثماني » يقيم مع قواته في قونية ، لا يبدى حراكا ، وكأنه لا يتأهب لمعارك أو حروب ، تاركاً الحبل على الغارب للجنود .. لا تدريب أو مناورة ولا استعداد ، ولا تصانيع

١- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركبة رقم ١٢٨ / ٥ ، بتاريخ ٢١ محرم

١١٢٤٨ هـ ، الموافق ٢٠ يونيو ١٨٣٢ . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

٢- نفس الوثيقة .

للمضباط أو توجيهه، فعاثروا فسادا ، ونسوا جيادهم ، فلا عناية بأمرها ولا علائف تقدم لها .
وعبثا ما حاوله الضباط الأوروبيون فى هيئة أركان حرب القائد ، بل قل ضاعت جهودهم هباء
منثورا^(١).

لكن هؤلاء الضباط (الأوروبيين) لمجحوا فى الضغط عليه لكى يتقدم إلى أدته ، ثم
انطاكية .. حيث أنفذ - من هناك - محمد باشا ، والى حلب ، على قيادة مقدمة الجيش ، وأمره
بأن يحصن نفسه فى حمص ، والمسافة بينها وبين انطاكية لا يستهان بها ، فلما علم إبراهيم
باشا بالخطأ الذى اقترفه حسين باشا بفصل المقدمة عن الجيش ، عزم على الاتصال بمقدمة
الجيش التركى وسحقها ، ثم مهاجمة باقى الجيش بعد ذلك^(٢).

ودون تفصيل - هنا^(٣) - لسير معركة حمص ، فإننا ننقل جزءاً من رسالة أرسلها أحد
شهودها . يقول الرجل أنه لم يرحقاً حرباً تمثلت فيها ضروب الشجاعة والبسالة والترتيب
والنظام - من الجانب المصرى بالطبع - مثل تلك الحرب ، ومادام دولته (إبراهيم باشا) متحلياً
بهذه الشجاعة العظيمة ، والتدابير المحكمة ، فإن الهزيمة دائماً ستكون من نصيب
العدو ، وبدون أقل شك ، فى كل معركة سيخوضها ضد دولته من بعد الآن ، فى أى جهة
كانت^(٤).

١- عبد الرحمن زكى : المرجع السابق، ص. ٣٢٠ .

٢- نفس المرجع ، ص. ٣٢٢ .

٣- أنظر تفصيل المعركة فى الملاحق . .

٤- محافظ عايدى ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الإنادة رقم ٥٢ ، بتاريخ ٩ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ٨

يوليو ١٨٣٢م ، من محو بك (معسكر إبراهيم باشا) إلى مجهول .

انتهت حرب الباشوات^(١) بهزيمة عثمانية مدوية ، حيث « أبدنا منهم عددا كبيرا بفضل صرامة سيف محمد علي ، وجمدة سونكي إبراهيم ، فغنمنا كافة الجبة خانة والمهمات والحكيم والذخيرة ، والثمانية والعشرين مدفعا التي كانت معهم ، وبلغ عدد الجنود المأسورين من النظاميين أكثر من ثلاثة آلاف نسمة .. »^(٢).

تشتت جيش السردار بعد معركة حمص^(٣) ، فاولت فلول جيشه نحو حما ، لكنها لم تستطع كذلك الثبات هناك ، فانسحب جانب منها بدون انتظام الى عنتاب ، والجانب الآخر انسحب - هو الآخر - بدون انتظام إلى انطاكية^(٤) ، وبهذه الهزيمة وهذا النصر استطاع إبراهيم باشا إلحاق ممالك عريستان كلها الى الحكومة المصرية ، ولكن الأوامر جاءت من والده بالتوقف في حلب^(٥) .

١- ذكر إبراهيم باشا في إحدى رسائله أنه كان بحمص عند وصوله إليها ثمانية باشوات .

أنظر ، محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الإفادة رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٢ صفر ١٢٤٨ هـ . .
الموافق ١١ يوليو ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى سامي بك .

٢- نفس الوثيقة .

٣- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٧ ، ترجمة العريضة رقم ١١١ ، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٤٨ هـ . للموافق ١٨ يوليو ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الإفادة رقم ٦٥ ، بتاريخ ١٢ صفر ١٢٤٨ هـ . للموافق ١١ يوليو ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى سامي بك .

٥- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة العريضة رقم ١١١ ، بتاريخ ١٩ صفر ١٢٤٨ هـ . للموافق ١٨ يوليو ١٨٣٢ م . من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

إنها حسابات السياسية ، وقد لاحظنا أن محمد على كرر أكثر من مرة في رسائله أن حلب هي الحد الأعلى لآماله^(١) لكن هذا الأمر بالتوقف لم يكن ليرضى إبراهيم باشا ، ومن ثم لم يتوقف ، بل أخبر والده بأنه تعقب السردار نفسه ، الذي ما إن بلغه نبأ وصول القوة المصرية « القاهرة » حتى ترك مالدید من المدافع^(٢) والمهمات والذخائر الحربية و« فك قلسه »^(٣) وفر من جبل إلى جبل ، ومن زاوية إلى زاوية أخرى ونشيد « أين المفر »^(٤).

من ناحية أخرى ، فقد أرسل مفتى حلب رسالة إلى محمد على يعرض فيها أدعية كثيرة ، ثم يقول أن السرور قد شمله ، وشمل العالم بإلحاق حلب الشهباء بحكم دولته^(٥).

بعدها ، تحمس السياسي ، وتهيأ الطرفان لمعركة بيلان^(٦) التي لن نقف عندها طويلاً هنا^(٧) ، فقد بانست موازين القوى ، وهانت القوة

١- أنظر على سبيل المثال : محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣- ، بتاريخ ٢٢ محرم ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢م ، من محمد على إلى إبراهيم باشا .

٢- كان عدد المدافع التي تركها ثمانية .

٣- فك القلص : تعبیر یکنی به عن الفرار والهروب . والقلص حبل ضخم تربط به السفينة ، أو تنزل به المرساة عند رسر السفن .

٤- محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١ ، بتاريخ ٢١ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى سامي بك .

٥- محافظ عابدين ، محفظة رقم ١٥ بحريرا ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٠ ، بدون تاريخ ، من مفتى حلب إلى محمد على .

٦- تقع مدينة بيلان جنوبى الاسكندرونه ، وشمالى المضيق والجبل المعروفين باسمها .

٧- انظر التفاصيل فى الملاحق .

العثمانية^(١) ولو كانت أكثر نفرا ، فلم تكن أعلى نفيرا .

عموما ، قد تفيد بعض الملاحظات العامة هنا عن التفاصيل^(٢) ، وأول هذه الملاحظات هي تكرار أخطاء العثمانيين التكتيكية والتي أبرزها هذا الاصطفاف في خطوط طويلة دون عمق دفاعي ، ودون احتياطي يتم الدفع به في الأوقات الحرجة أو عند تطوير الهجوم ، وهو الأمر الذي أدى إلى تكرار حركة الالتفاف حول أجنحة هذه القوات ، وإخراجها من المعركة مبكرا ، وبالتالي حسم المعركة .

أما الملاحظة الثانية ، فهي استمرار الأتراك في المقاومة رغم هزيمة حمص وبعدها بيلان ، ورغم الانسحاب غير المنظم في الحالتين ، وهذا أمر متوقع ذلك أن القوى التي لها تاريخ لا تستسلم بسهولة ، لذلك لا تستغرب ذلك الهدوء - المصطنع - من السردار حسين باشا ، حين قال مداعبا من حوله : « إن جوادى لا أستطيع إرغامه على شرب الماء » ، فقد صمم على أن يرتوى من ماء النيل^(٣) . الغريب أنه قال هذا بعد أن أغلقت حلب - التي كانت تابعة لسلطانه - أبوابها في وجهه .

أما الملاحظة الثالثة فهي أن أهل الشام قد تخلصوا من حيرتهم ، ولم يعد بهم حاجة إلى « التلون » . لقد بدأ أهل حلب هذا الاتجاه ، وتبعهم أهل معار ونعمان وقتل سلطان وزيتان ، ثم

١- في غمرة نشوته بالنصر في معركة حمص ، وفي رسالة منه لوالده ، قال إبراهيم باشا عن الجنود الاتراك « قفر كل منهم الى جهة ، وهلك معظمهم في القري والجبال من الجوع والعطش ، وقد رخصت جنود الترك حتى نزلت قيمة كل ثمانية منهم الي فلس واحد » . انظر محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١ ، بتاريخ ٢١ صفر ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢ م ، من إبراهيم باشا إلى سامي بك .

٢- التي نرصدها في الملاحق .

٣- عبدالرحمن زكي : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ .

جاءت إبراهيم باشا وفود أورفد وديار بكر تعلن الولاء والخضوع ، وبعد بيلان انضمت إنطاكية واللاذقية والسويدية إلى دولة محمد علي ، كما رقرقة العلم المصري على عينتاب ومرعش وقيصرية^(١) . لقد دانت الشام (الآن) لمحمد علي وابنه إبراهيم .

أما الملاحظة الرابعة فهي عودة إبراهيم باشا إلى مستشاريه .. أنه التوحد ، يصنعه الخطر الشديد .. أو النصر الأكيد .

أما الملاحظة الخامسة والأخيرة ، فهي توقف إبراهيم باشا مؤقتا عن الزحف شمالا وملاحقة القوات التركية الفارة على غير هدى . وهو ما يفرض سؤالا : لماذا كانت معركة قونية (التالية) وقد توقف محمد علي مرتين بعد كل من حمص وبيلان ؟

نعتقد أن هناك سببين ، أحدهما للتوقف والآخر للمتحرك بعد التوقف أما سبب التوقف ، فهو غموض الموقف الأوربي بعامة ، والإنجليزى بخاصة . فالجولترا لم تكن بعد قد حسمت موقفها من تأييد أى من محمد علي أو سلطانه . فالثانى فى حالة لا تمكنه من وقف خطر الدب الروسى المتحفر للمياه الدفينة عبر مضائقه ، والأول تهدد قدرته بمضايقتها مستقبلا ، وتضييق طريقها إلى الهند ، درة التاج البريطانى^(٢) .

أما سبب الحركة . إلى قونية . ففوة تعبر عن نفسها . لابد . إنه إبراهيم باشا القائد العسكرى المظفر ، لا يقيم كبير وزن لحسابات السياسة ، طالما كانت موازين القوى حواليه فى صالحه ، ألم يطلب من والده أن يخطب باسمه فى المساجد ؟

١- نفس المرجع . ص ٢٣١-٢٣٧ .

٢- Crawley , C.W : the Mediterranean , the new Cambridge modern history , vol . X, -٢

Cambridge 1968 , p. 428 .

على أن هناك أمراً آخر ، يتضح من وداع السلطان لجيشه - المتجه فيما بعد إلى قونية - وقائده رشيد باشا : « إنقاذ الدولة ، فإن شكرى لك ولعساكرك إذا أنت فعلت لا يكون له حد »^(١) انه الضعف .. دعوة مفتوحة للعدوان .

عموماً ، بين تردد السياسى وطروح العسكرى ، ومد القوة و«جزر» الضعف ، تحرك إبراهيم باشا شمالاً بأوامر محددة تعبر عنها الرسالة التالية^(٢) « يجب علينا حسب أوامرك أن نتقهقر إلى الوراء بعد الإستيلاء على قونية ، فالشائع أن الصدر الأعظم ، يزحف علينا بقوة كبيرة ، فإذا نحن تقهقرنا ، عزوا ذلك الى الجبن والخوف ، وعلى عجزنا عن مقابلته ، وفوق هذا كله فإن الصدر الأعظم يغتم الفرصة للزحف على قونية . وقد يتجاوزها للحاق بنا مديعا خير تقهقرنا ، ومن يدرى ما يكون من وراء ذلك ، فقد ينضم إليه الشعب . وقد تشور سوريا والأناضول علينا ، ويظل الغرض من تقهقرنا خفياً لا يفهم وبناء على ماتقدم ، لا ينبغي لنا أن ندع الفرصة تفوتنا . فنحن نذهب إلى قونية ، ونشتت العدو . وننتظر فيها وصول الصدر الأعظم لتقهقره ، اذا أراد مهاجمتنا ».

ورغم إقرار محمد على لرأى ابنه ، إلا أنه نبه عليه ألا يتجاوز قونية لأنه لا يعرف بوجه قاطع رأى الدول . فلما أطاح إبراهيم باشا بالجيش العثمانى فى قونية^(٣) أقام شهراً يعيد تنظيم قواته ، ولم يستطع مواصلة تعقب فلول جيش رشيد باشا - أسير إبراهيم - قبل وصول أوامر والده إليه ، وقد كتب لأبيه خطاباً فى ديسمبر^(٤) يقول له فيه : « أستطيع أن أصل إلى

١- نفس المرجع ، ص ٣٤١ .

٢- من إبراهيم باشا إلى محمد على فى ٩ جمادى ثان ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٣ نوفمبر ١٨٢٢م ، منشورة فى نفس المرجع ، ص ص ٣٤٣-٣٤٤ .

٣- انتهت معركة قونية فى ١ شعبان ١٢٤٨ هـ ، الموافق ٢٤ ديسمبر م . انظر تفاصيلها فى الملاحق ، ص ص ١٩٦-١٩٧ .

٤- الموافق ٥ شعبان ١٢٤٨ هـ .

الآستانة ... وأستطيع خلع السلطان حالا ، وبدون صعوبة ، ولكنى مضطر أن أعرف هل تسمح لى بتنفيذ هذه الخطة ، حتى أتدري باتخاذ الوسائل اللازمة لأن مسألتنا لا تسوى إلا فى استانبول .. فهم لا يقبلون عقد الصلح معنا إلا إذا دخلنا عليهم فى العاصمة^(١).

وهكذا ، واختلال ميزان القوة الذى أشرنا إليه ، تحرك إبراهيم باشا بقواته من قونية إلى كوتاهية^(٢) ، ولكنه وهو على أبوابها تلقى خطاباً من أبيه بالترقىف عن الزحف حيث يدركه خطابه ، وهو يعلم أن ليس للسلطان جندى واحد فى طريقه إلى عاصمة الخلافة العثمانية .. إنها السياسة التى كان محمد على غارقاً فى حساباتها طول الوقت ، والتى - ربما - لم يدرك إبراهيم باشا أبعادها بنفس القدر ، وكأنه - أى إبراهيم باشا - والقوات العثمانية كانا يتسابقان داخل قطار يسير بسرعة أكبر منهما فى الاتجاه المضاد . أو فى نفس الاتجاه ، لايهم ، فسوف تقصر بهما السبل عن بلوغ المقدمة أو المؤخرة ، حتى لو بلغاها سيكتشفان عبث المحاولة .

مهما يكن من أمر فقد توصل الطرفان^(٣) إلى صلح كوتاهية^(٤) ، فوضع مؤقتاً حد للنزاع بين الطرفين ، وبهذا الصلح ولى محمد على مصر والحجاز وكرت، وجعل إبراهيم باشا والياً

١- نفس المرجع ، ص ٣٥٥-٣٥٦ .

وأنظر أيضاً ،

Holt . T. P. M : Op. cit , p. 185 .

٢- فى ٢٩ شعبان هـ الموافق ٢٠ يناير ١٨٣٣ م .

٣- فى ٢٤ ذى الحجة ١٢٤٨ هـ، الموافق ١٤ مايو ١٨٣٣ م .

٤- كان الدافع الأول لمقد هذا الصلح هو خوف المجتراء وفرنسا من زيادة النفوة الروسى فى أنحاء الامبراطورية العثمانية ، بعد أن هزعت القوات الروسية إلى الآستانة لحمايتها من السقوط على يد قوات محمد على . أنظر :

على سورية وعكا ودمشق وطرابلس وحلب ، ومحصلا لولاية أدنة ، ورفرف العلم المصرى على جل هذه الأقاليم . لكن إلى حين فقد كانت الليالى « حبلى » بصراع جديد ، هو حروب الشام الثانية .

عموما ، وقبل أن نطوى هذه الصفحة المتقدمة من حروب الشام ، ونعرض لوثائقها ، يجدر أن نسجل ملاحظتين :

(١) الخلاف البين بين طموحات العسكرية وحسابات السياسى ، ومع هذا فإن العلاقة بين إبراهيم باشا وأبيه ظلت مثالية طول الوقت ، ولم يفسد إختلافهما للمرحم صلة ، فظل إبراهيم باشا بالنسبة لوالده « عبدا لا تقبل عيوديته العتق » ، وظل محمد على بالنسبة لولده « المولى صاحب الرحمة ولئى النعم بدون من » .

(٢) قابلت محمد على وإبراهيم باشا مشكلة حكم بلاد الشام حال توجه الأخير الى داخلية الأناضول ، فلما طلب من والده إرسال مندوب عنه ، سوف فى الأمر ، محتجا « بقحط الرجال » تارة ، والمحذور الذى فيها تارة أخرى. لكن السبب الحقيقى - فى رأى إبراهيم باشا - هو خوف محمد على من تدخل إبراهيم باشا فى عمل هذا المندوب .. ومن ثم فقد نفى عن نفسه هذا الخاطر مدلا « بخلو مذاقه بتاتا من جميع لذات الدهر »^(١) ، ومؤكدا - بطريقة عملية -

- Dodwell, H : Op. cit, p. 121 .

- Little, T: Op. cit, p. 33 .

- Holt, P.M: Op. cit, p. 186 .

- Crawley. C. W: Op. cit, pp. : 428-429 .

١- محافظ عابدين ، محافظة رقم ٢٣٦ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٤ ، بتاريخ ٢٣ صفر ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢٢ يوليو ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

بأنه عرض الأمر على الأمير بشير الشهابي للقيام بالمهمة ، فلما رقص انتدب لها الحاجة حنا^(١) المقيم في عكا ، ريثما يصل مندوب محمد علي كيلا تتعطل المصالح^(٢).

أما عن وثائق حروب الشام الأولى ، فقد اعتمدنا على النصوص الكاملة للمراسلات والتقارير التي تمت بين إبراهيم باشا ووالده ، أو بين القادة العثمانيين والآستانة ، وبعد دراستها وتحليلها قمنا بنشرها كاملة في الهوامش .

أما اللغة التي كتبت بها الوثائق فهي التركية^(٣). أما عن قصة ترجمتها تحت إشراف الحكومة المصرية إلى اللغة العربية ، فالمعروف أنه قد حدثت صحوه فكرية وعملية في عهد الملك فؤاد ، كانت في صالح التاريخ والمؤرخين ، إذ وجه الملك فؤاد جل عنايته إلى الدراسات التاريخية الخاصة بمصر ، وذلك لإحياء ذكرى والده إسماعيل وجديده إبراهيم ومحمد علي ، ومن هنا عنى بالمؤلفات التاريخية حول هذه الفترة ، وشجع رجالها ، ودعا الأجانب من المؤرخين للإطلاع على كنوز المحفوظات المصرية ، والكتابة في تاريخ أسرته .

ولتسهيل مهمة هؤلاء المؤرخين ، أمر الملك فؤاد بجمع مافى القصر الملكي ودار المحفوظات بالقلعة ، ودور الحكومة من وثائق ، وإحالة التركية منها - وبخاصة المتعلقة بحروب الشام في عصر محمد علي - إلى قلم الترجمة إلى العربية^(٤).

١- هرحنا بحرى ، أو يوحنا بحرى ، مسيحي من حمص ، حضر إلى مصر بصحبة يوسف باشا كنج عندما التجأ إليها ، وقد أعجب به محمد علي لقدرته ومرونته ، فقرره إليه واعتمد عليه .

٢- محافظ عابدين ، محافظة رقم ٢٣٧ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٥٦ ، بتاريخ ٢٩ ربيع أول ١٢٤٨هـ ، الموافق ٢٦ أغسطس ١٨٣٢م ، من إبراهيم باشا إلى محمد علي .

٣- فيما عدا ما كان يوجه إلى الأهالي مباشرة - مثل الفتاوى - فقد كتب بالعربية .

٤- عبد النعم الجميلى : المرجع السابق ، ص ٥ - ٦ .

وقد سجل الدكتور عبدالمنعم الجميعة في دراسته التي أشونا إليها سابقا ، بعض الملاحظات على الوثائق المتعلقة بهذه الفترة التاريخية التي نحن بصدددها ، على النحو التالي:-

(أ) نعت المترجمين لمحمد على بلقب خديو ، والحقيقة أن محمد على لم يحمل هذا اللقب، بل كان أول من حمله من أسرة محمد على هو اسماعيل باشا ، ولذلك كان يمكن لهؤلاء المترجمين إطلاق كلمة الوالى أو الياشا أو البكلربك^(١) أو العزيز على محمد على ، فتكون أقرب إلى الصواب تاريخيا من كلمة خديو.

(ب) يلاحظ إتخاذ إبراهيم باشا في توقيعاته على رسائله إلى والده تعبير « سلام على إبراهيم » في محاولة منه للتبرك والتشرف بإحدى آيات القرآن الكريم^(٢) .

(ج) يلاحظ في أسلوب الوثائق بعض الركاسة^(٣)

إنتهت ملاحظات الدكتور / عبدالمنعم الجميعة ، ونضيف نحن هنا - على نفس الوثائق - بعض الملاحظات .

١- إتصالا بالنقطة السابقة مباشرة - ركاسة أسلوب بعض الوثائق - فإننا نعزى الأمر إلى طرفيه : الكاتب والمترجم ، ومدى قوة التعبير لدى الأول ، والتمكن من اللغة العربية لدى الثانى ، ومن ثم فقد تفاوتت الوثائق بين القوة والضعف تعبيريا ولغة .

٢- إتصالا بما سبق أيضا ، لم يكن إبراهيم باشا وحده هو الذى يستخدم في خاتمه ما يبعث على التبرك والتشرف ، فقد وجدنا حالات مماثلة ، مثل « رب وفق أمور محمد » .

١- أى الحاكم .

٢- الآية ١٠٩ من سورة الصافات .

٣- نفس المرجع ، ص ٦-٧ .

٣. لاحظنا خلو العديد من الوثائق من اسم المرسل أو المرسل إليه ، وكذلك خلو بعضها من التاريخ . وبالنسبة للحالة الأولى فقد حاولنا تحديدها من خلال مضمون الرسالة ، وبالنسبة للحالة الثانية فقد حددنا معظمها بطريقة تقريبية اعتماداً على انتظام البريد بين مصر وعكا ، بحيث كان الأمر يستغرق حوالى الأسبوع بين كتابة الرسالة والرد عليها . أما الحالات القليلة التى لم نستطع تطبيق نفس القياس عليها ، فقد اعتمدنا على مضمون الرسالة ، وربطه بالأحداث الجارية لتحديد التاريخ بصورة تقريبية بالطبع.

٤. لاحظنا فى كثير من الوثائق اقتباساً من القرآن الكريم ، أو استدلالاً بأمثال عربية مشهورة أو أمثال مشتركة بين العربية والتركية .

٥. لاحظنا أن أسلوب التفخيم ظل متواتراً فى الرسائل المتبادلة بين محمد على وإبنه ابراهيم ، إلا أن هذا التفخيم ظل معقولاً إذا ما قورن بعبارات التفخيم والتحقيق (تحقير نفس الوالى فى مقابل تعظيم نفس السلطان العثمانى) التى وردت فى الرسائل المتبادلة بين محمد على والسلطان العثمانى .

٦. لاحظنا اختلافاً بين المترجمين ، فبعضهم ينهى الوثيقة بتسجيل اسمه والبعض الآخر يهمل ذلك ، وبعضهم يشرح ما غمض من ألفاظ أو مصطلحات ، والبعض الآخر لا يلتفت إلى ذلك .

٧. لاحظنا تطاولاً من إبراهيم باشا على الدولة العثمانية فى مراسلاته إلى والده ، بينما التزم محمد على جانب الحيطة والحذر ، بما بين الفرق بين العسكرى والسياسى .

٨. استخدمت كل الوثائق التاريخ الهجرى فقط ، مما استلزم القيام بعملية المقابلة بين التاريخين الهجرى والميلادى .

٩. لاحظنا فى أكثر من حالة . ركزنا عليها فى حينها . أسلوب تهكم وسخرية من جانب إبراهيم باشا فى رسائله ، وهو أسلوب لم يقصد به الإساءة أو التجاوز ، بقدر ما قصد به التدليل والإقناع .

١٠. لاحظنا تركيز إبراهيم باشا على مسألة الجنس العربى - فى مقابل الجنس التركى - والأمن القومى العربى ، وهى مسألة خلت منها مراسلات محمد على .

١١. لاحظنا احتواء بعض الوثائق على تفسيرين لحدث واحد ، كانت الحقيقة تظهر عادة فى الرسالة التالية (١) .

١٢. كانت بعض التقارير تسبقها ملخصات لضيق الوقت ، ثم يأتى التفصيل بعد ذلك .

١٣. يلاحظ - أخيرا - أن الوثائق تناولت عاصمة الدولة العثمانية بأشكال مختلفة ، مثل

١- مثال ذلك ماحدث من تبرير إبراهيم باشا لفشل قواته فى اقتحام قلعة عكا فى السادس من شوال ١٢٤٧هـ، الموافق ٩ مارس ١٨٣٢م - فى رسالة بتاريخ ١١ شوال نسر إبراهيم باشا عدم احتلال القلعة بسبب أن الجنود اضطروا إلى التراجع لأنهم « لما شاهدوا الضباط الذين كانوا فى المقدمة اضطروا إلى العودة بسبب أصابتهم بجراح ، ولأنهم كانوا فى حالة يتعذر معها الحركة بسبب شدة الزحام » ، إلا أنه يعود فى ٢٣ شوال ويفسر الأمر بأن المدافعين أخذوا يضربون جنودنا ضربا حملهم على الرجوع وأن القواد « لم يستطيعوا قيادة الجنود الى اليمين واليسار وإدارة القتال حسب اللزوم ، ولا قاموا بتنفيذ الخطط والأوامر الصادرة اليهم غير مرة ، فتسببوا بذلك لضيق الانتصار ... وفى الواقع لا اعتراض مطلقا على غيرة الجنود ولكن القواد الذين يدركون الدقائق الحرجية ويقدررون على التصرفات الواجبة وفقا لها قليلة العدد ، وأنى بحق حياتكم العزيزة المباركة أرجو أن لا تنفسي هذه الحقيقة لأحد من أتباعكم فإن الضباط الموجودين هنا أصبحوا أشباحا لا أرواح لها خشية أن تدرج أخطاؤهم فى التقرير » .

انظر - محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١١٠ ، بتاريخ ١١ شوال ١٢٤٧هـ، الموافق ١٤ مارس ١٨٣٢م . من معسكر إبراهيم باشا إلى محمد على .

وانظر أيضا ، محافظ عابدين ، محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٢ ، بتاريخ ٢٣ شوال ١٢٤٧هـ ، الموافق ٢٦ مارس ١٨٣٢م . من إبراهيم باشا إلى محمد على .

اسطنبول واستنبول واستانبول^(١) والآستانة^(٢) ومن المعروف أن الأسماء الأولى أطلقت على العاصمة حتى أطلق عليها الآستانة في القرن التاسع عشر^(٣) .

وفيما يلي عرض لوثائق حروب الشام الأولى ، وهي مقسمة إلى أربعة أقسام :

١- وثائق خاصة بطلب محمد علي لولاية الشام تسهيلا لمهمته في الحجاز^(٤) .

٢- وثائق تتصل بحصار عكا ، ولها علاقة بحروب الشام شمالا^(٥) .

٣- وثائق خاصة بحروب الشام .

٤- وثائق خاصة بإدارة بلاد الشام .

١- وتمنى دار الإسلام .

٢- وتمنى العتبة .

٣- عبدالعزيز الشناوي : الدولة العثمانية ، دولة إسلامية مفترى عليها ٤ أجزاء ، ص ١٤ .

٤- وهي منشورة في : عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم ، المرجع السابق ، ص ٤٠٢-٤٣٥ .

٥- وهي منشورة في : عبدالمنعم الجميعي : المرجع السابق ، صفحات مختلفة .

الملاحق

الملحق الأول

وثائق خاصة بطلب محمد على
لولاية الشام تسهيلا لمهمته في الحجاز

وثيقة رقم (١)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى، ص ٤٧.

رقمها فى وحدة الحفظ : (٤٣).

تاريخها : ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م.

موضوعها : طلب اىالة الشام ليوسف كنج، وابعاد سليمان باشا عن هذه الإيالة. لقيامه

بأمور ربما تؤدى إلى تعطيل محمد على عن القيام بمهمته فى الحجاز.

صورة القائمة المحررة، لرجاء تروحيه اىالة الشام، لعهدة يوسف باشا كنج (الشاب) مع
اطلاقه والافراج عنه.

إن حضرة سليمان باشا، والى اىالة صيدا، من المماليك، بحب جنس المماليك بالطبع،
لاسيما مماليك مصر، ويهوى أن يساعدهم قدر استطاعته، حتى أنه سوى ما كان يجرى عليه
من المكاتبة الدائمة بينه وبين محمد بك الألفى المتوفى من قبل، مدة حياته، وخلا تسببه
لايراث مضرات كثيرة بنا، بتحريره الشكاوى فى حق هذا الخادم المطيع إلى الدولة العلية، وإلى
حضرات أولياء الأمور من غير أصل ولا موجب، كان هو السبب لفرار طائفة المماليك الذين
كانوا استجلبوا إلى مصر واسكنوا فى العام السابق بالاستئمان والصلح، على أن يستخدموا
فى خدمة هذا العاجز، كان هو الداعى لعصيانهم بتعليمه الفتنة والفساد لهؤلاء المنظرين
عليهما، بأرسال خطابات التهيج، والاستثارة إليهم تفكيراً فاسداً منه، فى صرفى وتعطيلى
عن مأموريتى بالحرمين، حتى صار ذلك باعثاً لوقوعى فى مصروفات كثيرة، وإن كنت تمكنت
من إزالة غائلة المماليك بالسيف، ولله الحمد بالنظر إلى ما أملكه من القوة والقدرة تحت ظلال

رعاية حضرة السلطان، وأعطيت المناصب المصرية التي كانت أعطيت لهم، لعبيدكم أصحاب الخدمات القديمة بمعيتي، حتى أصبح هذا التحريك من الوزير المشار إليه، والاستشارة منه محض خير، ومن قبيل اللطف في حق هذا العاجز على فحوى «عسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم»، لكن عند ارسال ولدى طوسون أحمد باشا مع عساكره المشاة المرتبة بحرا لطرف الحرمين وعند سفرى قريبا من جهة البر بعده، يرجع الوزير المشار إليه إلى عادته القديمة، ويتصدى للفتنة، من حيث يقعد ولا يبقى هادئا، بل يتوغل في وجوه الاهانة بمخلصكم، بالنظر إلى أنه لا يتمكن من الذهاب إلى جانب الحجاز البتة، وإن كان مرتبا لها، لعدم وجود عسكر ولا قوة عنده، وأمضى في رؤية مصلحتي غير متزلزل أدنى تزلزل من فتنة المشار إليه، بناء على أن معتقد هذا العاجز مضمون «من عمل صالحا قلنفسه ومن أساء فعليها».. لكن مقتضى المصلحة أن لا يترك خلف من ينتدب ويؤمر بالقيام بأعباء أمور جسيمة لم يكن ولم يتيسر لأحد القيام بحقها، منذ خمس سنين وعشر سنين وعشرين سنة، ولا في جواره ما يكون شاغلا لأفكاره بوجه، لا ما يدعوا إلى الملاحظة وانشغال الخاطر، فإذا دفع وازيل الوزير المشار إليه من جوارى، ووجهت ولاية الشام لعبد يوسف باشا كنج، مع التفضل بعفو ذنبه، وإبقاء وزارته، يصبح هذا المخلص مطمئن القلب، ويحصل انجاز مصلحة الحجاز بسرعة، وقد اجترى على هذه الافادة، بناء على أن مقتضى طبيعة المصلحة، تسهيل مأموريته بدفع الأمور التي تحدث غوائل لمخلصكم في مصلحة الحجاز الجسيمة فقط، من غير أن تحمل افادتي على الغرض النفساني، في حق سليمان باشا، وعلى التحيز في حق يوسف باشا، لأنى ما كتبت ولا أفدت سوى المواد الواقعية، في حق المشار إليهما خيرا كانت أو شرا من تاريخ وزارتنا لحد الآن. وقد ابتدرت إليها الشفاعة في حق يوسف باشا كنج حسبة الله، بالنظر إلى أنه عبد لا ذنب له، وإنما لقي الغضب السلطاني بحسب افتراء وبهتان عليه. وحيث التجأ هذا البريء إلى مخلصكم، وهو يعدنى مسموع الكلمة، معتبرا لدى الدولة العلية، أرجو أن تقرن شفاعة هذا

العاجز في حق المشار إليه الذي لا ذنب له بالقبول لدى حضرة الملوكية، اعتمادا على أن ولى نعمتنا وولى نعم العالم صاحب الشوكة مولاي رحيم الشيم، حكيم الخصلة بخلاف السلاطين السابقة، وقد قال تعالى: «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس» فأخص رجاء هذا الأحقر دفع سليمان باشا الذي أجزم يقينا، بسعيه في المقاسد المستلزمة للفرائل والشواغل القلبية في مأموريته هذه، مأمورية الحرمين، وإبعاده من جوارى، مع اسعاد يوسف باشا كنج بالعفر والإطلاق وتوجيه ولاية الشام لعهدته، عند احاطة علمكم العالي بأنى لست متحيزا لهذا، ولا أنى في صدد إجرا - غرض نفسانى لسليمان باشا من غير سبب موجب.

فى ٢٥ شعبان ١٢٢٥ هـ / ٢٥ سبتمبر ١٨١٠ م.

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٢١)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى، ص ٨١.

رقمها فى وحدة الحفظ : (٤٨).

تاريخها : ٥ شوال ١٢٢٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٠ م.

موضوعها : خاص بجلب سفن الضاو، وعزل سليمان باشا.

تحرير متعلق بإرسال مقدار سبعة آلاف جندى من العساكر المشاة مع ست سفن من السويس لحد اليمن، لجلب سفن الضاو، وشأن عزل سليمان باشا.

تم من جملة ما أنا ساع فى إتمام إنشائه من سفن مرفأ السويس لأجل مصلحة الحجاز، إنشاء ست سفن حربية، منها ثلاثة سفن كبيرة وثلاثة سفن أخرى من صنف الفرقاطة، ووضعت فى تلك السفن الست الأشرعة والقلوس والمدافع وسائر الأدوات - فتجهزت وأنزلت فى بحر السويس، ولم يبق من نواقصها سوى أدوات الصوارى والأعمدة، وأوحى كتخدائنا بالباب العالى عبدكم صاحب العزة نجيب أفندى، بأن يرسل تلك النواقص، وقد عزم على تسيير تلك السفن المستحضرة فى البحر، براكاب عساكر لهم خبرة بالأمور البحرية، وإرسالها أولاً، لحد اليمن، آن ورود تلك اللوازم، لأخذ ما يصادفونه فى وجه البحر وسواحل جدة وينبع واليمن، من السفن والمراكب المعير عنها بالضاو، وجلبه إلى مرفأ السويس، فبالى أن تصل إلى المحال المذكورة تلك السفن الست المستحضرة فى البحر، التى سترسل إليها عقب ورود ما سلف ذكره من لوازم الصوارى التى يرسلها الأفندى المومى إليه، وإلى أن تعود تلك السفن إلى المرفأ المذكور مستصحبة لمراكب الضاو التى تصادفها فى تلك الجهات، يتم إنشاء بقية سفنى، فتكون جاهزة فى المرفأ المذكور من غير نقصان، وعند انتهاء مسألة السفن فى زمن قريب بمنته

تعالى بهذه الصورة، توضع فيها الذخائر والغلال الواقية وسائر مهماتنا اللازمة المخزونة المعدة في المراقق، وتشحن تلك السفن في الحال، ويركب عليها ولدى عبدكم طوسون أحمد باشا مع عساكر المشاة، المرتب إرسالهم بحرا، البالغ عددهم سبعة آلاف جندي تامى العدد، وبعد هذا الإرسال لا محالة، يتوجه هذا الشاكر لنعمتكم المثنى عليكم إلى جهة مأموريته من الفرسان الكلية المتوافرة المرتبين برا، قربنا سبحانه أكرم بالتوفيق والسلامة آمين. ومن الجلى الظاهر أن من أساس نظام المصلحة، حصر عقلى وفكرى، في تدبير الأشغال الكثيرة المائلة أمامى، بأن لا نبنى ولا نترك غائلة توجب وسوسة في الصدر، وإخلالا في الفكر، بالنظر إلى كونى مأمورا بالاستقلال، ومتعهدا بهذه المصلحة الخيرية الجسيمة، مع أن حضرة سليمان باشا المتفضل عليه بإيالة الشام كما هو مبيتفاه، مستاء غاية الاستياء بناء على حقوق مكاتبته ومصادقته المعلومتين مع أشقياء المماليك. من أعمالنا السيوف إلى هذه الدرجة في الأشقياء المذكورين، حتى لو أمكن أن يحول دون تمكينى من إبقاء هذه الأمور الحجازية، بفداء جميع ما يملكه في هذه السبيل، لعد ذلك منة كبرى على نفسه بكل فخر، ولبذل وأعطى جميع ما يملكه في آن واحد، بغية أخذ الانتقام من طرفنا، ولا سيما أن عدة مئات من الأشقياء بقية السيوف مقيمون الآن بولاية السودان، فارين من مصر، وهم على اختلاف فيما بينهم في محل استقرارهم، حيث « ضاقت عليهم الأرض بما رحبت »، ففريق منهم يريد الاندفاع والإرقاء نحو تونس، والسفر إلى ولاية فراتسة بالركوب من هناك في السفن، وفريق آخر منهم يختار الانسلاخ إلى ولاية الوهابية بالدور واللف من إقليم الحيشة، ولحرقه منهم ينتخبون القصد توا إلى جهة الوزير المشار إليه بالانسلاخ من داخل الجبل، على اتجاه القدس، بتدارك كل منهم هجينا باعطاء كافة موجوداتهم ومنقولاتهم، فعدل الفريقان الأولان عن رأيهما، رأى الذهاب إلى فراتسة، ورأى الانتقال إلى بلاد الوهابية، واستحسنوا جميعا رأى الأخير، واستصوبوه، واستقر قرارهم على الذهاب إلى الوزير المشار إليه، فإذا تحققت وتأكدت من مضيقهم على هذا

الاتفاق، لا محال أسلط على جهة العرش وغزة، وأرسل إلى تلك الجهات مقدارا من سائر العربان، ليقطعوا السبيل عليهم، فحينما يبلغ هذا التصميم من هذا العاجز إلى سمع الوزير المشار إليه، لا شك أن يبادر إلى تحرير الشكاوى وتسجيرها إلى الدولة العلية في حق هذا الخادم المطيع فظاهر أنه على كل حال لا يبقى مشغولا بخاصة أمر نفسه، بعد سفرى من مصر، بل يتصدى لمفاسد تدعو لحدوث اضطراب باطنى لهذا الخادم المطيع، ايقاعا في الغلط في تدابيرى، (فيكون بقاء الوزير المشار إليه هناك سببا مستقلا لبطء جريان المصلحة الخيرية ولتأخير إنجازها). ومن أجل ذلك سبق تحرير عريضة من عبدكم، وتقديمها إلى الباب العالى، مع عبدكم الأفندى المومى إليه، كتخذائنا بالباب العالى، على رجاء التفضل بالمساعدة لبقاء مأمورى بدفع الوزير المشار إليه من ايلة الشام، وعندما أحاط علم ولى النعم الذى هو زينة العالم، بصورة اهانة المشار إليه ومضرته في أمر مأمورى من عريضتنا، ومن تقرير الأفندى المومى إليه، وافادته، أرجو بدفع المشار إليه من الايالة المذكورة، بحمل افادتنا على مقتضى المصلحة، دون اجراء غرض نفسانى له، وفي شأن التفضل باجراء المساعدة والمعاونة الكلية، لرؤية هذه المصلحة الخيرية بهذا الوجه.

فى ٥ شوال ١٢٢٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١٠ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٣)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركي، ص ٤.

رقمها في وحدة الحفظ : (٥٦).

تاريخها : ٥ شوال ١٢٢٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨١١ م.

موضوعها : طلب إبعاد سليمان باشا من إيالة الشام.

صورة ما حرر إلى نجيب أفندي فقط لدفع سليمان باشا من إيالة الشام.

إن حضرة سليمان باشا هذا، ليس على حسن التأزر معنا، بل حرر إلى الباب العالي عدة مرات مضيه واستمراره على اجراء مفاسد ضدنا بما يوقع مصالحنا في اضطراب وارتباك، لكن المفهوم أنه ما أجيب لحد الآن إلى طلبنا وانهايتنا حملا لتحريراتنا، إلى اجراء الأغراض النفسانية ضده، فيا أخى حضرة المشار إليه، ليس بأكبر منى من أية جهة من جهات الشأن والمنصب والاعتبار والرقعة والبطولة، حتى أحسده وانهج معه منهج اجراء الأغراض النفسانية ضده، وما حظيت به بحمد الله تعالى تحت رعاية حضرة السلطان من المساعدات الجليلة، والتوجيهات السنية، لم يرد مثله، ولا ناله أى وزير من الوزراء، منذ نشأة الدولة العثمانية، إلى يومنا هذا، أعرف قدر هذه النعم التى لا تحصى، وأديم الشكر عليها، فبأى ثقل أم بأية وسيلة أكون فى خيال اجراء الأغراض النفسانية ضده، فوالله العظيم، وبالله الكريم، ليس فى عقلى، ولا فكرى أصلا، ذرة ما، من خيال اجراء الأغراض ضده، وإنما اجتريء على التحرير إلى الباب العالي مرات، لمجرد إقادة ما يوجب التبصر والرؤية فى خدمة ديتنا ودولتنا، وتبين المواد التى قنع من إبحاز هذه الخدمة، لأنى جد مقتنع بأن المشار إليه، حيث يعلم أنه لا يقدر على الذهاب إلى الحرمين، مع كونه مأمورا أيضا بذلك، ويجزم يقينا أنى تهيات من كل

الوجوه، وتتم هذه المصلحة الخيرية على يدى وحدى مثله، ويسعى فى مفاصد تجعلنى - لا قدر الله - خجلا عند الدولة العلية ساقط الاعتبار. وقد بعث المشار إليه خبراً إلى بقايا الممالك من الأشقياء، القليلة الذين طردوا وأجلوا إلى بلاد السودان، حيث يغار لهم غاية الفيرة، فى وقت إشرافهم على الهلاك تدريجياً من الجوع والعطش، قائلاً لهم لا تأسفوا فأنا سأريحكم قريباً إن شا - الله تعالى، فايصال المشار إليه مثل هذا الخبر إلى مثل هؤلاء العصابات المكسرة الأجنحة والمقطعة الأصول والفروع، أمر يفيد الامداد لهم بوجوه، والمضرة الملحوظة من تدبيره هذا، وإن كانت راجعة إلى طرفنا صورة ونقطة، فهى عائدة إلى الدين العالى والدولة السنية حقيقة ومعنى، فإن كان المطلوب الحجاز المصلحة الحجازية على الوجه التام كما ينبغى، فلتبذل الهمة لذهابى بصرف العناية إلى دفع المشار إليه من اىالة الشام، وأما إن كان لا يلزم سفرى، ولا أدرى هل يتم الأمر أم لا بالعساكر المرتبين الذين أرسلهم بحراً، فيجب أن لا يعزى تقصير إلى طرفنا على تقدير عدم الحجاز المصلحة المذكورة، لأن من ضروب الأمثال المعلومة ما يقولون، ألف عامل ورئيس واحد، وعند العلم يتوقف ذهابى على دفع المشار إليه من اىالة الشام، كما أفدت مرات حسبة لله، تفهم مقتضى الحال لحضرات أولياء الأمور، إن كان المراد الحجاز المصلحة الخيرية انجازاً تاماً، تحرر ما تقتضيه الإرادة السنية بسرعة إلى طرفنا باقدام تام، وحيث إن هذا هو مطلوبنا المستعجل، قد حررت هذه القائمة المنبثقة عن المودة، لاقادة هذه المصلحة، وللاستعجال فى مادة الصوارى، المحولة لمهدتكم، ولاخطار مسألة المدافع المحولة تسويتها - لعهد حضرة الأغا، وكيل الخزينة الهمايونية، وعند وصولها بمنه تعالى تسعى فى مقتضى ذلك، وتبذل الهمة فى عدم مصادفة وقت حركتنا لزمان اشتداد حر الصيف، بتتميم مصالحنا المذكورة فى أسرع وقت ممكن.

فى ٢٥ ذى الحجة ١٢٢٥ هـ / ١ يناير ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٤)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركى، ص ١١٩.

رقمها فى وحدة الحفظ : (٦٤).

تاريخها : غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٢٦ مارس ١٨١١ م.

موضوعها : إظهار أهمية الشام لانهجاز مصلحة الحجاز.

حرر إلى نجيب أفندى، حينما ورد اطلاق يوسف باشا كنج: بأمله بتعيينه لمنصب، لكن يا أخى لم يكن ما حرره ورجوته كرارا.

لد ورد اطلاق يوسف باشا كنج، ولم تبق لى أيضا شبهة أنه ينال ومرارا على هذه الصورة، لكن كان مرادى أن هذا الرجل، حيث قام وقعد وعاشر مع الوزراء العظام، من مدة مدبدة فى طريق الحجاز، يعرف جيدا أمور تلك النواحي ومصالحها، فعلى تقدير اعطاء الشام له خلا وجود أنواع الخيم ذات عمود واحد وغيرها والحيوانات وسائر المهمات عنده من ملكه، كنت أعطيه عدة آلاف فارس مع معيناتهم، فيزحف من طرف الشام، وتقع حركتى أيضا من مصر بقوى كلية لتسمى فى انجاز المصلحة الجسيمة بسهولة، حتى نخدم لسلطاننا ولديننا، ونقوم بخدمة عظيمة، فلو كان يوسف باشا كنج هذا عين للشام على وفق طلبنا، لكانت المصلحة تخرج إلى حيز الوجود بكل سهولة، حيث يشهد الله أن سليمان باشا لا يقوم (بخدمة المصلحة الحجازية). وأما المصلحة الحجازية فخلا أنه قد صرف فى سبيلها لحد الآن مقدار أربعة آلاف كبسة نقدية من غير المشاة من طرف ولايتى، وسائر المحلات بناء على أنه يرسل أكثر العساكر الموجودة عندى إلى جهة الحجاز، حسب كمال تخوفى واحتياطى وتحرزى من مهاجمة دول النصارى، وتسليطهم، وإن كان يكفى ما أبقيه من العساكر بمصر ومرافئها كافيا روافيا لمحافظة

أمور المملكة، حيث بعثت أوراقا متعددة إلى مرافىء الروم (أناضول)، وأرسلت مندوبا وورقا آخر أيضا إلى روملى، لاستجلاب هذا المقدار من الجنود، وبالنظر إلى مصلحة هؤلاء الأربعة آلاف من الجنود، إنما هو ترتيب يعود إلى مصلحة الحجاز، وفى سبيلها، يعلم عند الملاحظة بأى مقدار من التعيينات أو المصروفات يحون مثل هذا المقدار العظيم من العساكر فى السنة، فلو علموا أنه لا شك كل هذا السعى، وهذا الاجتهاد وهذا التناثر وهذا الانتشار كلها، إنما هى لأجل الخدمة الحجازية، وأن سليمان لا يقوم بخدمة الحجاز فعزله فى حينه، وأعطوه ليوسف باشا هذا أرسله بته من طرقى الشام بتجهيزه وتدارك لوازمه وكان على ذلك، وعلى رقيبى وفق تحريرى، وأقوم أنا من هذا الطرف بتنظيم مقتضيات التدبير اللازم من وراء ولدى الباشا المومى إليه، على ما هو اللازم والحاصل أن هذه الصورة تكون صورة حسنة، لالحجاز المصلحة بسرعة فلا يحملن أشعارنا هذا، على نكوصنا، وحينما يستمر ولدى المومى إليه فى طريق ذهابه، حيث يقام من بركة الحج قريبا ذاهبا إلى الجانب المقصود بطريق السويس، فأنتم يلزم عليكم أن تتخذوا قرارا وجيها لهذه الصورة حالا، بالاستشارة مع بعض الناصحين لنا، ومريدى الخير بنا وأن تسعوا جهدكم فى تنظيم ذلك.

فى غرة ربيع الأول ١٢٢٦ هـ / ٢٦ مارس ١٨١١ م

هذه الترجمة طبق أصلها التركى

وثيقة رقم (٥)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركي، ص ٢٣٢.

رقمها في وحدة الحفظ : (١١٨).

تاريخها : ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ / ٩ أغسطس ١٨١٣ م.

موضوعها : طلب اىالة الشام، لتسهيل انجاز مصلحة الحجاز.

صورة القائمة المحررة إلى الباب العالى، جوابا عن المرسوم العالى (الفرمان)، الذى أتى به الأندلى كتخدأ الباب.

وقد اقترن بفهم ذهن هذا المخلص المستديم، مضمون مراحم الخط الهمايونى المبارك، المقرون بالعناية السلطانية، المتفضل بارساله بواسطة عبدكم النجيب، كتخدانا بالباب (العالى) لدى وصوله إلى مصر مع العطية البهية، القيمة المملوكية، فى اليوم الخامس عشر من شهر شعبان الشريف الجارى، عند الفتح والقراءة، بعد الاستقبال مشيا على الوجه والمقابلة بالتقبيل والتلثيم بكمال الآداب والتعظيم، وظاهر أنى عاجز وقاصر عن أداء شكر العناية السلطانية القيمة للغاية، التى برزت على التعاقب بهذا الوجه فى حق هذا العاجز غير المستحق، ويديهى ياهر، أنى لو تكررو لى عمرى الطبيعى فيما بعد عدة مرات، واستكملت تلك الأعمار والمدد، ووفقت وصرفت وجودى الظاهر الضعف، ليل نهار، لخدمات الدولة العلية مع تطبيق جميع أقوالى وأفعالى للمزاج، الخسروى الذى له بالعدل امتزاج، لا يمكن تأدية شكر واحد من ألف بما لا يعد، من عنايات ملجأ الخلاف التى نلتها وشهدها لحد الآن، فرينا الحى الودود أدام مولانا ولى النعم العالى، وسبب أمن بنى آدم صاحب الشوكة والقدرة والعظمة، السلطان ملاذا للعالم، ملك الملوك، البصير القلب، على سرير سلطنته الحارسة للعالم، إلى آخر الأدوار، وأظل بظلال مراحمه المملوكية، مفارق عبيده، ولا سيما مفرق عبده هذا الذى لا يقبل العتق، ويدوام

واستمرار آمين بالثني الأمين، فعبدكم هذا العبد الأدنى الذي عبوديته لا تقبل العتق من عبيد مولانا روح العالم، قد ترك النوم والاستراحة، وشمر ساق الغيرة، وجمع ذيل الحمية، مرتبطاً له بوسطه، منذ أربع سنين وخمس سنين على مقتضى مأموريته، حتى وفقت لتنظيف البلديتين المباركتين، وتطهيرهما من لوث وجود الخوارج، بحض آثار التوجيهات السامية الآيات الملوكية، ولكن من الحالات التي تظهر للجميع، بأدنى ملاحظة، أن الدرعية مقر نحوسة هؤلاء الطائفة طائفة الخوارج، ما لم تشاهد، ولم تلق صدمة القاهرة من العساكر السلطانية الذين لهم مآثر الظفر، وما لم يصبح أكثر هؤلاء الخوارج طفم سيف الفزاة، ولم تدخل البقية الباقية من هؤلاء الخوارج داخل سلك الإيمان، بأن يتوبوا ويستغفروا قلباً وروحاً، من أن ينظروا فيما بعد الآن، لطرف البقعتين المباركتين نظراً معرجاً، وشراً لا يمكن أن يقال انجزت المصلحة وأديت خدمة مأموريته لديني ودولتي.. ومع ذلك سبق العرض مراراً للباب، مستقر العدالة، من طرف حضرة صاحب الشريف وغيره من المطلعين على أحوال تلك الأحوال، ان حسن ختام هذه المصلحة الخيرية لا يحصل على وفق المرام، بالهجوم من طرف واحد، بل يحتاج ذلك على كل حال إلى الهجوم، بكل جهد وغيرة، من الجهات الثلاث، ولكن من غير أن يكون في معرض التشكي والامتنان، حاشاً ثم حاشاً، لم يحسن ولم ير أحد بذل الجهد لهذه المادة، وصرف القدرة لأجراء الإرادة الخسرية المفيدة للكرام، ولاتفاها على قدر الامكان، سوى هذا المخلص، فانهصر حصول المصلحة في الجهة الواحدة كما هو ظاهر، وما سبق وأرسل من طرف هذا العاجز على التعاقب، وما يجرى إرساله لحد الآن من العساكر السلطانية، إن كان الخمسة منهم استشهدوا حين المعاربة، فالخمسة والعشرون منهم يموتون من وخامة الهواء وشدة الحر - أنا فأنا، وحيث تبعث هذه الكيفية إلى الدهشة في الصفوف العسكرية، أصبح من المتعسر سوق العساكر وأرسالهم إلى الدرعية التي هي بمسافة عشرين مرحلة، وثلاثين مرحلة من مكة المكرمة والمدينة المنورة، حتى أن من الواضح البديهي، نظراً إلى مزاج الوقت، أنه غير بعيد، أن يترك هؤلاء العساكر البلديتين الطيبتين، وأن ينسحبوا منهما متدفقين إلى مصر، لو أحسوا أن

يُصِرُّ تكون سلامة أحوالهم، (ويرحب بهم)، وهذا المخلص لم يضمن بشيء غير الروح، على من يصلح للخدمات العسكرية من العساكر وقد عاملت كلا منهم معاملتى مع أولادى، مغدقا عليها أنواع النعم السلطانية، منذ خمسة عشرة سنة، تحت سعد رعاية حضرة السلطان، وإنما وفقت لاكتساب رضا حضرة ظل الله، الذى اليمن من مقتضاه بهذا القدر فقط، باستخدام هؤلاء العساكر الذين نشأتهم تحت تربيته بهذه الصورة فى تلك الخدمة، فمعلوم عند الجميع مبلغ صعوبة إقامة العساكر عدة سنوات فى تلك المحلات الصعبة المسالك لو كانوا محشودين من هنا وهناك كيفما اتفق، ولم يبق مما أرسلته سابقا ولاحقا، من عدة آلاف خيل وخيال، سوى مقدار ثلثمائة أو خمسمائة حصان، ما بين صالح للعمل، وغير صالح، ويكون معلوما لدولتكم، من مفاد معروضات الوزير المكرم حضرة صاحب السعادة، طوسون أحمد باشا، المتواردة على التعاقب منذ عدة أيام، المرفوعة إلى الأستانة العلية، يعينها فى هذه المرة، أن السعود المردود، كيف أتى بالنفس بعساكر كلية، إلى جوار المدينة المنورة، وماذا أحدث، من الثلثة والخسائر هناك، حيث لم يحسن بحركة ما، من طرف آخر، وليس الغرض من تفصيل الكيفية بهذا الوجه - ورب البيت - ابتداء الشكوى، لا هو من نوع الامتنان، بل القصد من ذلك (أولا): افادة حقيقة الحال، و(ثانيا): افادة أنه لم يكن المراد من طلب الشام أولا وآخرها، جر المنفعة، ولا توسيع المنصب، والله يعلم ذلك - بل مجرد إبراز حسن الخدمة للدين والدولة العلية، وأظهار الصدق والاستقامة، فمهما كان الشام الشريف على سبع عشرة مرحلة، من المحل الذى يقال له الدرعية، مع كون أكثر منازل هذا الطريق ومراحله معمورة ذات مياه وأعشاب، فالسهولة ظاهرة فى سوق العساكر الكلية، والذخائر وسائر المهمات بهذا الطريق، كما يسهل بذلك أيضا حصول الغالبية بتنصيب قوة العدو على نصفين، بإخراج الجيوش الكلية السلطانية من الطرفين، وبناء على أن إقليم مصر، أزيد من قدر عبدكم واستحقاقه بمائة درجة، وأنه ليس له رغبة ولا مد نظر، إلى محل سواه، تحت رعاية حضرة السلطان، لو أجهزت وأبرمت بعد اكمال الخدمة، والمجازها يقطع الماء واستنصاله من ينبوعه من مدة قليلة بعون الله

ونصرته، وقيل لى لبيب الشام تحت ادارتك البتة لكان يضطر عبدكم إلى اضجاركم باستقالتي مع رجاء تفويضه واعطائه لوزير آخر، ومبلغ حاصلات الشام الشريف ومصروفاته التى تحدث فى هذه السنين، وكلفه ظاهر عند أربابه باهر بالوجوه عند هذا المخلص، فيكون سعيى الشخصى مع العلم بذلك، فى تحصيل ما يحمل عليه المصاريف الزائدة، ويكلفه المصروفات الباهظة، مغايرا لطور العقلاء بالاتفاق، ومن ثمة أحسب واتخيل، ان هذا المخلص لكم، قد اظهر صداقته وعبوديته من هذه الجهة أيضا لمولانا وولى نعمتنا، المنعم بغير من بما أنعم، ولكن حيث لم يجرب صدقى وكذبنى بعد على مقتضى طالعى، لم يسمح باسعااف مسئولى، فمهما كان الملك والعبد لمولانا صاحب الشوكة روح العالم، يتصرف فيهما كيف يشاء، وثرثرة هذا المخلص إلى هذا الحد، وان كانت تتناقى مع مراسم العبودية، لكن الله يعلم أن الغرض طلب المنصب المذكور مجرد الخدمة والصداقة، وان ذلك لم يكن مبنيا على خيال آخر، فلو لم أكن قادرا على اعاشة نفسى باقليم مصر، وطلبت منصبا لتوسيع المعاش، لكنت خارجا عن حدود الأدب جدا، لأننى إذا عجزت عن إدارة نفسى بمنصبى الجليل الذى هو من المناصب التى إليها يتحسر الوزراء، يلزم أن أبقى عاجزا عن إدارة نفسى، لوضم أيضا إلى ذلك المنصب بلاد الأناضول بأكملها، فلو لوحظت ملتزمات هذا المخلص الذى يتلقى أنها باردة، ملاحظة تامة بالوجوه، لحق أن يكون معلوما لدولتكم بالتجريب، أنها غير باردة إلى هذا الحد، بل هى تنجر إلى الخدمة والصداقة باعتبار النتيجة، وحيث أن سفر مخلصكم بعد لأداء فريضة الحج، وتنظيم العساكر، وتجهيزهم، وتأليف العربان تحت ظلال المراسم الحسروية - سأرسل عند وصولى إلى جدة، بعون الله تعالى فى الحال، على طبق الإرادة السلطانية، التى تفيد الكرامة، لاستقبال حضرة الوزير المكرم أخينا، صاحب السعادة سليمان باشا، خاصة من المدينة المنورة عدة مئات من الفرسان ومقدار ألف أو ألفين من العربان وبعض الذخائر، على أن يأتوا بمعية الباشا المشار إليه وفى خدمته. فى أى محل لا قوه مع التنبيه والتأكيد لهم، ان يذهبوا إلى حد «معان»، إذا أدركوا من غير مكث عند ورودهم قرب المدينة المنورة، والانتظار هناك مع الاهتمام بصرف جل المكنة للهاب حجاج الشام الشريف وإياهم سالمين غافين، ولاستجلاب

الدعوات الخيرية من غير إهمال، تعقب مصلحة الدرعية، فأصرف غاية وسعي ولياقتي، حتى أكون موفقا لفتح الدرعية وتسخيرها أيضا بعون الله جل وعلا، وعنايته، وبامداد روحانية سيدنا مفخر الموجدات (صلي الله عليه وسلم)، وببركات حسن توجه مولانا صاحب الشوكة والقدرة، ولي نعم العالم، وبهمته، والله سبحانه جعل ظلال مولانا صاحب الشوكة دائمة الأظلال، علي عبيده عامة، وعلي عبيده هذا الذي لا تقبل عبوديته العتق خاصة مدي الأزمان آمين.

في ٢١ شعبان ١٢٢٨ هـ / ٩ أغسطس ١٨١٣ م

المترجم

محمد زهدي الكوثري

وثيقة رقم (٦)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : دفتر (١) معية تركي، ص ٢٤١.

رقمها في وحدة الحفظ : (١٢٢).

تاريخها : شوال ١٢٢٨ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨١٣ م.

موضوعها : هتاف واعتذار، مع إبراز أهمية الشام لتنفيذ مصلحة الحجاز.

الجواب المحرر للقائمقام عن مكتوبه الوارد، بشأن تأمين سلامة حضرة والي الشام سليمان باشا - مع الحجاج ذهاباً وإياباً.

وقد صار معلوماً بالوجوه، لهذا العاجز مضمون كتاب كرمكم، الوارد بالبريد المزدوج، في هذه المرة خاصة، بياناً عن أن حضرة والي الشام أمير الحاج الوزير المكرم صاحب السعادة سليمان باشا، يستوثق من قبائل العربان الموجودين بطريق الشام بتعاطي سند بينه، وبينهم، ثم يتحرك وهو تام القوة والعدة، مستصحباً الحجاج المسلمين في هذه السنة المباركة، وأن من الضروري تأمين سلامة من جمعية المشار إليه ولحقه ضرر وكدر - معاذ الله تعالى - سواء كان ذلك بين الحرمين، أو أثناء الطريق من الشام إلى المدينة المنورة، بالنظر إلى ما بلفكم من تحشد الطائفة الوهابية بالدرعية، بعد ذلك بتحريك العربان وتسليطهم من طرفنا، بسبب عدم إحالة إيالة الشام الشريف طرف الخادم المطيع، فتذهب خدمتنا لحد الآن في مصلحة الحرمين المحترمين سدي وهباء منشورا، ويوجب ذلك تنزل ما بذل في حق هذا العاجز من التوجيهات، التي لها تأثير الأكسير آيات لدي جناب ملجأ الخلافة، وتعزي هذه الكيفية إلى عبدكم بالمرّة. فها عبدكم هذا، وإن كان من المجرمين الذين جازت تقصيراتهم الحد، ولكن حيث أنني لست من أصحاب البغي والفساد الذين لا يعرفون الدين والدولة العلية، بل من عبيد السلطنة السنية

المبتاعين بالدرهم ، الحائزين لرتبة الوزارة العليا من غير استحقاق، مع كوني من أمة محمد أبا عن جد - ولله الحمد والمنة - فإن كان مشكوكا عند دولتكم، ان الإجراء علي مثل هذه الفصاحة التي لا يرتكبها سائر الملل من نوع الكفر عند هذا العاجز، فهو معلوم لحضرة الله ذي الجلال العالم للسر والخفايا، وظاهر بالتوتر، خروج أكثر قبائل العريان بطريق الحج منذ عشرين سنة من طريق أهل السنة المستقيم، وتبعيةهم للسعود المردود، وكونهم أشد كفرا من الكافر الخارجي المذهب، ويديهي باهر أيضا، أنهم ليسوا تحت حكمي، وأنهم لا يخلون عن ايراث ضرر وخسائر لحضرة الباشا المشار إليه، ولطرف هذا العاجز لو اقتدروا علي ذلك، ومع كون العريان المذكورين قد نكل بعضهم بالسيف السلطاني الدافع للحيث، واستألف بعضهم بأنواع التكريم والعطايا الملوكية، منذ عدة سنين، قد تحقق لدي هذا العاجز، أن للطائفة الذين اجتلبناهم نحونا إمداداً وإعانة ، لحد الآن ، لعريان الوهابية . الذين يبتدرون كلما سنحت لهم فرصة إلي حالات النهب والقتل . إزاء العساكر السلطانية المنبئين في مختلف أنحاء الحجاز، حتي أنهم قبل مدة داهموا في جهة الطائف ثلثمائة عسكري من غزاة المسلمين ومعهم قائدهم البكباشي الذي له منزلة واعتبار عندنا علي حين غفلة، فقتلوا هؤلاء الغزاة عن آخرهم، قراحوا شهداء من غير أن ينجو منهم أحد، كما أن عبدكم مصطفى بك سر جشمة الدلاة، حينما قام في هذه المرة من الطائف مع عساكره الموجودين بمعبته، واشتبك بالحرب بأعلي قلعة طربة (تربة) - دهمهم علي غرة ابن شكيان وعبد الله الملعون ولد السعود ومعهما عريان كثيرة للغاية، فنهبوا الجيش، وأغاروا عليه وقتلوا عدة مشات من رجاله فها هو قد وقع التحرير والانهااء، من طرف حضرة والي جدة الحالي، الوزير المكرم صاحب السعادة، طوسون أحمد باشا، إلي طرف هذا العاجز، أن للعريان الذين هم في جهتنا مدخلا خفيا في الاغارة، وحيث قدمت التحريرات المذكورة بعينها إلي طرف دولتكم، يكون تفصيل الكيفية معلوما لدي دولتكم من هذه التحريرات، والسعود المردود الذي يدعي الخلافة. والسلطة، من غير اكتراث، بشيء من سنين وأفرة، لا يتأخر عن الخيانة بالوجوه، لطرف هذا العاجز، وطرف المشار إليه، إذا قدر واستطاع لذلك ظاهر ظهور

الشمس في وسط السماء عند الجميع، وليس معلوم، ولا مفهوم، لدي هذا الخادم المطيع، أنه إذا لزم وقوع نوع من الضرر - معاذ الله تعالى - لحضرة والي الشام الباشا المشار إليه، بأي جهة يكون تمييز عزو ذلك إلي صوب عبدكم، حتي انقلبت مسرة العيد الشريف - والله يعلم - إلي أنراع من الحزن والألم، لمصادفة ورود أمركم ليلة العيد الشريف، وأظن أنه لو كان السعود المردود، منقادا للدولة العلية الأبدية الدوام، جاريا أمره ونهيه علي أكثر طوائف العربان، وهم تحت الطاعة، ما كان يستحق لهذه القولة وهذا النوع من التوبيخ والتعنيف، بملاحظة ظهور تجاوز من عدة قبائل تخالفه، واحتمال وجرد أمثال ذلك بين تلك الطوائف الكثيرة، علي أن عبدكم هذا عبد صادق في العبودية، لمولانا السلطان، ملجأ الأنام، والعدل في الأحكام، ولي نعم العالم، باعث أمن الملل والأمم، صاحب الشوكة والقدرة والعظمة، بحيث لا تقبل عبوديتي العتق، ويعلم الله العليم للغيوب والسرائر في الباطن والظاهر، أنه ليس لي بغية ولا أمنية في هذه الدنيا الفانية، سوي أن يكتب اسم هذا العاجز ويسجل في جريدة العبيد الصادقة العبودية، للدولة العلية، بتحصيل الرضا الخسروي، الذي من مقتضاه الميامن، ولما فكرت أن تعينني بهذا الوجه مع ذلك كله في مثل هذه الأيام المباركة، إفا يكون في تقصير صادر مني، هدأت نفسي بعض هدوء، وتسلي قلبي المحزون، بملاحظة أنه لا نهاية لعنفو حضرة السلطان وعنايته، ولعل من جملة تقصيراتي، طلب احالة الشام إلي طرف هذا العاجز في السنة فقط، لكن الله يعلم أن هذا الطلب، ما كان لجر منفعة، ولا لتوسيع المنصب، بل كان ذلك عبارة من مجرد الخدمة والصدقة من هذا الوجه أيضا، وكنت اجترأت من غير تفكير بسوء الظن الجاري في حق هذا العاجز، علي تحرير مادة الشام الشريف، بملاحظة أن بلاد العرب، يعسر فيها إنتاج مصلحة، بمجرد النقود والعساكر، بل يلتزم فيها رؤية المصلحة اللازمة والحمل علي رؤيتها، مرة بالجبر والاقدام، وأخري بالمداواة والاكرام، حسب ما يحتمه التجريب المكتسب من امضاء مدة كبيرة في درس طبائعهم، وكما يقتضيه الحال، مع أن حضرة والي الشام المشار إليه، وإن كان أعقل الوزراء العظام وأرشدتهم في حد ذاته، ومن يفتخر بفداء المال، والروح في سبيل

مرضاة حضرة السلطان، لكنه حيث لم يمض إلا مدة قليلة منذ شرف الشام الشريف برتبة الوزراء العليا، ليس له اطلاع بعد علي هذه الدقائق، وقد لا ينتبه إلي دساتر طائفة العربان ومكرهم، فربما تحدث في أثناء الطريق - معاذ الله - حالة توجب المذلة، فتذهب الاتعاب التي عمدت في سبيل اخضاعهم ادراج الرياح، فلو اخرج من الشام الشريف، إلي طرف الحجاز، والي جهة الدرعية، جيوش كلية سلطانية، ويضيق الخناق علي الطائفة الوهابية، من الطرفين، لكان ذلك مدارا علي تحصيل من الحجاج المسلمين، وسهولة حصول فتح الدرعية وتسخيرها بعون الباري وعنايته، ويضمن توجيه جناب مالك العالم، لكن لم يسمح باسعاف مسئولني هذا، الواقع لمجرد عرض الخدمة والصدقة، بهذا النوع من التدبير، وأبقي الباشا المشار إليه، حتى تعلقت الإرادة المملوكية التي مفادها الكرامة، بالاعانة له من طرفنا علي مرتبة الامكان، ولما أصبح، معلوما عند هذا الخادم المطيع ب ورود عبدكم لحبيب أفندي كتحذانا بالباب العالي بأمورية مضمون المرسوم الجليل الشأن، الصادر بالشرف لهذا كنت بعد أفاء المراسيم والسمع والطاعة، عرضت وأنهيت لمقام دولتكم صادقا، كيفية صرف نقد غيرتي وجهدي للاعانة المستطاعة، لحضرة الباشا المشار إليه، وحينما ورد عبدكم الأغا، سلحدار حضرة الباشا المشار إليه، لطلب الاعانة من طرفنا، قبل ورود الأفندي المومي إليه بدة، كنت ذكرت أننا مع حضرة أخينا صاحب الدولة الباشا، وبناء علي أن مأموريتنا من مصالح الدولة العلية، لا يقع تجويز ادني تقصير بوجه من الوجوه في المعاونة اللازم اجرائها، فيما بيننا، وكروت تلك المزايا، كلمة فكلمة، وقلت أنه إذا رغب الباشا المشار إليه في الامداد بفرسان كثيرة كلية، علي أن يكون ذلك مثقلا لكواهل حضرة أخينا الباشا أصلا، أقوم بذلك، وإن كان لا حاجة له إلي العساكر أرسل إليه ما أمكن ارساله من النقود وأتعهد أن أعطي له ما يكفي من الدخائر بين الحرمين، وهكذا اعدت السلحدار المومي إليه موصيا له بتبليغ دعواتي، مع الإسراع في إشعار ما يختارونه، واختاره، وبينما أنا في استقباله بمقدار من الفرسان من المدينة المنورة، وأن ذلك هو المطلوب، فحررت ترتيبات هذا الخادم المطيع بشأن الاستقبال تفصيلا إلي الباشا المشار إليه، علي الوجه الذي عرض سابقا لطرف دولتكم، وبعث التحرير بساعيها المخلص، ولما ورد

سلحداره إليه قبل وصول تحريراتها المذكورة، وعلي الباشا المشار إليه، كيفية اعانتنا، أتني عيذكُم كاتب ديوانه الأفندي في أواسط شهر رمضان الشريف، ولما علم عيذكُم من تحريره وتقريره، أنه يطلب أن يرسل إليه مقدار من النقود بالعدول، وصرف النظر عن ارسال العساكر، قلت بمحضر دعائكم السادات قضاة مكة والمدينة ومصر (مكة ومصر ملاطري افنديز)، وبحضور عيذكُم نجيب أفندي : أتني كنت تعهدت بأنني لا أقصر في الاعانة لحضرة أخينا الباشا المشار إليه، وبأنني أجري حالا أي شق يختارونه من الشقين المذكورين، لكن امتثالا لما أصدرته الدولة العلية الآن، أقوم باستقبال أخينا الباشا لحد «معان» من المدينة المنورة بمقدار كلي من الفرسان بصرف ما يتراوح بين خمسمائة وستمائة كيسة نقدية من النقود لذلك، كتبت هذه الكيفية إلي الدولة العلية، مع أن حضرة الباشا الآن، لا يطلب العساكر بل يطلب النقود، فإذا وردت تحريراته القطعية الافادة في أنه لا حاجة إلي العساكر علي هذه الصورة، أرسل إليه ما يصرف للعساكر من خمسمائة كيسة نقدا وبناء علي المصروفات التي لا تغطى لأجل العساكر المرتبة المهيأة لمحافظة الحرمين، وللزحف علي الدرعية لا يمكن لي أن أعين من الجهتين، وإنما أقدر أن أعين من جهة واحدة، وأما ما سوي ذلك فخارج عن وسعي، وحيث أن الوقت ما كان يساعد ويتسع لتحرير ذلك تفصيلا إلي حضرة المشار إليه، وورود جوابه تكراراً استصدرت حواله بمبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية إلي تجار معتبرين بالشام الشريف، وأرسلناها بسايعنا الخاص مع التحرير والانهاء تفصيلا لطرف الباشا المشار إليه أن يتسلم مبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية من محلاتها عند حلول ميعاد أحد عشر يوما من تاريخ الحوالة، ومبلغ مائتين وخمسين كيسة نقدية الباقي، سيدفع اليه نقدا يوم دخوله المدينة المنورة إن شاء الله تعالى، فيما إذا كان عساكر الاستقبال غير لازمة، والحال أن عيذكُم علي أمل ابراز الخدمة والصدقة، واظهار السعي والفيرة لهذا الشأن، حسبما تعين بالتجريب.

إن الحرمين الشريفين، لا يبقيان مصونين من مكائد الوهابيين، ما لم تنته مصلحه الدرعية، أقوم بالنفس من مصر بعساكر كلية، بوسيلة الحج لغاية ستة أيام من تاريخ عريضتي هذه،

وأذهب إلي المدينة المنورة، وقد تركت النوم والاستراحة لشئون الإقدام والاهتمام بأمن حجاج المسلمين ذهاباً وإياباً، ولتحصيل أسباب ضبط الدرعية وتسخيرها، مع صرف الوضع والطاقة، لاستجلاب الدعوات الخيرية من حجاج المسلمين، وسكان البلدين المباركتين، لمولانا صاحب الشوكة والقدرة، أقسم برب البيت: لقد أنساب شعوري من حيرتي، حيث لم يدرك عقلي القاصر، ما هي الحكمة في تعينني بهذه الصورة مع ذلك كله، وما هو السر في تعنيف عبيد، لا تقبل عبوديته العتق، ويتفاني في الخدمة إلي هذه الدرجة، بمثل هذا التعنيف، يا مولاي ولي نعم، إذا كان يلزم عزو، ما يقع من الخيانة لحضرة والي الشام المشار إليه، الي طرف عبيدكم، فإلي أي طرف يلزم أن تنسب الخيانات الواقعة مرتين في حق العساكر السلطانية للمأمورة من طرف عبيدكم كما بين آنفاً، والعساكر السلطانية المرجودة بالحجاز منذ ثلاث سنين، ان مات منهم من وخامة الماء والهواء مقدار ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف عسكري، فسبعة أو ثمانية آلاف نفر منهم استشهدوا في محاربة قبائل العربان، وراحوا ضحايا لمولانا ظل الله صاحب الكرامة، وولدي حضرة طوسون أحمد باشا، وقد جرح في الحرب مرتين قبالي من يلزم أن يعزي ذلك أيضاً، والحاصل أن الذوات الكرام الذين يتولون إمارة الحاج، أيا كانوا، إذا لم تكن حركتهم بقوة وقدرة من جميع الجهات، مادام هذا العدو القوي ماثلاً في ميدان الكفاح، لا شك أن العدو المترصّد للفرصة من القديم، يسعى في انتهاز الفرصة وعدم إفاتها، فإذا قام حضرة والي الشام المشار إليه، خفيف القوة لا جرم تحصل وسوسة، مهما أعين من طرف هذا العاجز، كما هو بديهي معانين من لوائح الحال، والله ذو الجلال خالقنا جميعاً، يعلم أنه لا يقع من طرف عبيدكم غير الاعانة لحضرة المشار إليه، فلنسع ولنقدم بالاتفاق جميعاً، لاكتساب ذكر جميل بين الأقران، بإبراز خدمة حسنة لمولانا ملجأ الخلافة ولي نعم العالم، الذي لا ين بأنعامه من غير أن يري لاتقا التزام أحد الجانبين، وتحقير الجانب الآخر بدوسه تحت الأقدام، وحيث أن عبيدكم من العبيد الذين حرّموا النوم على أعينهم، والاستراحة في الليل إلي الصبح، بالتفكير في طريق حصول الموفقية، لا في هذه الخدمة للدولة العلمية فقط، بل في أمثالها الكثيرة للغاية من المصالح الجسيمة المشكلة الصعبة، فكرت وصممت بوسيلة الحج الشريف في هذه السنة المباركة، علي أخذ الانتقام من أعداء الدين، وتصفية الدرعية بصرف مبالغ طائلة جداً، كما

يعلم ذلك إذا نظر بنظر الاتصاف، قد علم الجميع اغارة العربان الذين هم تحت حكومة حضرة والي صيدا علي جالتا بصورة علنية، ومع ذلك ما كان عزي التقصير إليه في ذلك، بل عومل بالتسامح والتغاضي عنه، وعومل عبدكم بالتكذيب، فكيف يمكن أن يستند ويعزي إلي عبدكم، ما إذا وقع ايراث ضرر وخسارة لحجاج الشام عيادا بالله، من قبل أشقياء العربان الذين لا مناسبة لي معهم، ولا هم تحت حوزة حكومتني، ولا سيما طائفة الوهابية الذين هم أعداء أرواحنا جميعا، والله سبحانه قهر باسمه القهار، بحرمة الحرمين المحترمين واسمه الأعظم، من يستهدف ويقصد ايراث ضرر خفية أو علنا، ناظرا بأذني نظر خيانة للدين المبين المحمدي، وللدولة العلية السرمدية، وأنال من ينطوي علي نية الخدمة والصداقة لآماله في الدارين أمين بالنبي الأمين، فحينما أصل بمنه تعالي إلي مكة والمدينة، استفتح البيت الشريف، والروضة المطهرة اللطيفة وأحمل قاضي مكة وقاضي المدينة علي الدعاء بهذه الصورة بأعلي صوت، يسمعه جميع الموجودين من حجاج المسلمين من صغير وكبير، وأطلب منهم التأمين علي هذا الدعاء، وأحملهم عليه، وإن كان ظاهرا سراء ظن حضرات أولياء الأمور في حق عبدكم، لكن عبدكم علي مقتضي عبوديتي وصداقتي، أقدم جهد طاقتي بكل افتخار، وأسعي في رؤية خدمة مولانا ولي نعمتنا الذي لا ين أنعمه، وإن لم يعرف ذلك، ولم يعترف به أحد، قاله يعلم أولا، وحضرة مولانا روح العالم ثانيا، وحيث أنني جازم أنه لا يضمن بمراحمه وشفقته الملكية في حق هذا العاجز، وقع ايراز اخلاص هذا بوسيلة رجاء العفو عن ايراث صدام إلي هذا الحد.

في ٥ شوال سنة ١٢٢٨ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨١٣ م

المترجم

محمد زهدي الكوثري

وثيقة رقم (٧)

مصدر الوثيقة : دار الوثائق القومية - القاهرة.

وحدة حفظها : محافظة (٤) بحرياً.

رقمها في وحدة الحفظ : (١٣٨).

تاريخها : ١٥ صفر ١٢٣٠ هـ / ٢٨ يناير ١٨١٥ م.

موضوعها : من محمد نجيب إلي محمد علي، بشأن الاستعلام عن كيفية إدارة الشام في حالة توجيهها إليه.

حضرة سيدي، وولي نعمتي، صاحب الدولة والعناية والمطوفة والأبهة والرحمة، مع الدعاء
لامتداد عمركم بالاقبال والاجلال والدولة والأبهة الدائمة، ولتكن شمس منظار ذاتكم الولية
النعم، ناثرة الشعاع الوفير، يعرض عبدكم أنه قد ازدانت يد التعظيم، بأمر ولي النعم، المرسل
هذه المرة مع عبدكم سليم أغا الساعي، ورفيقه، والمحتوي علي انكم تفضلتم وأرسلتم مكاتبة
إلي الباب العالي، وأخري إلي عبدكم، وذكرتم بوجه التفصيل انكم تفضلتم ببذل المقدرة والهمة
الموفرة في انتاج المسائل الخيرية، والحجازية وتهيئة الجمال واللوازم الأخري التي هي من أقوى
الأسباب ، في أمر قهر واضمحلال الخوارج الخونة ، وما أن جبال اليمن والحجاز مملوءة بالخوارج
، وهؤلاء قاموا سابقا وبدون رب بالمعونة الكثيرة لابن سعود المردود ، واستولوا على الحرمين
الشريفين ، فليس من المأمول أن يستتب الأمن في الحرمين بدون اقام وضع الخوارج المذكورة
داخل النظام ، واصلاحهم قبل القيام بالحروب ، وانه تحصل السهولة في مسألة الدرعية أيضا ،
بعد هذا الانتظام ، بمعونة الرب المستعان ، وبناء على أنه يتم الحصول على اخضاع ما لا
يحصى من القبائل الضالة الكائنة في الحدود والجبال المذكورة وعلى صرفهم علي ما ألفوه من
الاعتقادات الباطلة ، واصلاحهم بالسيف ، وأنه جاري اخراج العساكر الوفيرة والحرب قائم ،
فمن المقرر أن ذات ولي النعم المنطوية على الشجاعة ، ستفضل باظهار السطوة والبسالة من

جهة الصحراء ، كما ان عساكر البيادة والسواري التي سترد بعد حلول وقت الحج ، ستزحف من فوق الجبال المذكورة بالجمال المرتبة ، وستبذل الساعي والحماية في قهرهم واستئصالهم بمتة تعالي ، فقط بما أن المسائل المذكورة هي من الأمور الجسيمة ، فعندما تم الاصلاح في تلك الجهات بعناية المولي ، فإن التوجه الى الدرعية يحتاج على الاقل الى عشرين ألف جمل من غير كلام ، وقد أمكن هذه المرة استحضار ثلاثه آلاف جمل فقط ، من جهات الشام ، بما بذل من كثرة الساعي والأموال ، ثم بناء على لزوم مداركة الجمال والمواشي الأخرى اللازمة بحسب هذا التقدير ، والمبادرة لتهيئة عساكر ، واخرج جيش من جهة الشام ، بالنظر الى قريها لجهة الحجاز المشرفة ، فإن توجيه ولاية الشام المذكورة الى دولتكم من أهم الأمور ، ولقد اطلعت علي مضامين أمركم هذا ، وحالا عرضت ذلك على الباب العالي ، وعلي المحلات العالية الأخرى ، وقمت بالافادة والتفهم ، بوجه التفصيل ، من أن الوقت هو وقت بذل الهمة في حصول الملتزم وأيضاً الأوان هو أوان اعادة الحجاز الوعد ، بالنظر إلى أن حصول نتيجة حسن الختام في المسائل الخيرية ، هو من الأمور المعني بها ، كما أنني اهتمت في هذا الشأن ، وأقمت الى حضرات أولى الأمر ، والى من يلزم من أجله الكبراء فردا فردا ، بأن ابقاء شروط المعونة مترتب على عهدة الديانة ، كما أنه من لوازم السلطنة لانه يتوقف النظر في الأمور المذكورة وادارتها وحسن ختام المصلحة علي الحجاز الملتزم ، كما أن ذلك يكون موجبا لسهولة المسألة من كل الوجوه ، ثم اني زدت عن الحد ، وبذلت المقدرة في قول الحق ، وحيث أن اتفاق الآراء في الخصوص التي من هذا القبيل ، هو من القواعد المرعية ، فقد عقد مجلس الشوري بضعة مرات ، وفي المشورة الأخيرة ، تقرر الاستعلام عن أنه في حاله توجيه ولاية الشام الى دولتكم ، كيف يكون النظر في أمورها ، بأي وجه تحصل المعونة ، وتكون المبادرة لادارتها ، وعليه فعندما يكون تفصيل الأمر معلوما لدولتكم من مكاتبة حضرة الصدر الأعظم ، يلزم التفصيل ببذل العناية في الاسراع باعادة الساعي المذكور ، بالجواب اللازم ، وبما أنني عبد مملوك لأحكام دولتكم فإن ما بذلت من المقدرة وكثرة الساعي في الافادة عن الزام ، واجتنابي

ارتكاهي التقصير و، الفتور مع نسيان النوم والراحة ، وترك كل شئ من الأمور المعلومة لعالم الأسرار والخفايا ، والظواهر أيضا لقلب سيدي ولي النعم الملهم ، وقد وضعت طي عريضتي صرة من الافادات التي قدمت الى الباب العالي ، بعد القيام بكتابة تقرير عيذكم سليم أغا المومي اليه ، لكي تكون منظورة لدولتكم ، وحيث أنه وان كان قد حصل الاهتمام ، بحصول الملتمس المذكور من كل الوجوه ، إلا أنه لم يحن وقته المرهون ، ولم يبرز الدليل في هذا الأوان ، فقد أوجب ذلك اتسلا ب الراحة والاستقرار في بحر التفكير ، ومن البديهي أن كيفية المواتع التي ظهرت ستكون بتقرير عيذكم المومي اليه ، لانها معلومة له ، هذا وأن الافادة عن أنني والحالة هذه منتظر ، وصول جواب المسألة التي حصل الاستعلام عنها في أقرب آن ، وعن أنني قائم بالدعاء لنوال العون والعناية الإلهية ، صارت وسيلة لعرض عيوديتي لدي التفضل باحاطتها علما ان شاء الله تعالى ، فان الأمر لجناب سيدي ولي النعم .

في ١٥ شوال سنة ١٢٣٠ هـ / ٢٨ يناير ١٨١٥ م

ترجمة

يوسف فهمي

ختم

محمد نجيب

الملحق الثانى

وثائق تتصل بحصار عكا
ولها علاقة بحروب الشام شمالا

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : رغبة الباب العالي في حسم النزاع بين محمد علي ووالي عكا بالطرق السلمية .

تاريخها : ١١ ربيع الأول ١٢٤٦هـ

مصدرها : محافظ بحريرا محفظة رقم ١٤ .

من مجهول الى الجناب العالي

« بناء على ما يبدو من جنابكم العالي من امارات التفضل بالأخذ في أسباب تأديب والي عكا وسوق القوة عليه بقصد التنكيل به ، وذلك نظرا لغضبكم عليه وحدث بعض ما يؤدي الى اشتداده من الأسباب هذه المرة قد أرسلت محررات من قبل المقام القائمقامي الى مقامكم الرفيع والي الوالي المشار اليه في سبيل اصلاح ذات البين وبهذه المناسبة أقول : أن ذاتكم الحديوية الحميدة الخصال لستم مثل غيركم في وجه من الوجوه ولا سيما أن حضرة صاحب الجلالة سلطان السلاطين لا يرضي مطلقا بما يزعم خاطركم السامي على ما سمع وحققه هذا العاجز ولذلك أكد علي الوالي المشار اليه بأن يكون في حالة الانتقياذ ، ثم أن اهتمام جنابكم العالي بموضوع تأديب والي عكا يضم مشغلة أخرى علي ما يشغلكم من الشواغل الكثيرة المهمة من جهة ويؤدي الى اختلال (الأمن والنظام) في تلك النواحي من جهة أخرى وخصوصا يفكر في هذه الايام في تبديل اياملة الشام وبقاء الاحتساب في الشام الشريف ولكيلا يمتد الاختلال الى الشام الشريف أيضا بسبب عكا فلو تفضلتم وعلمتم في هذا الموضوع بمقتضي الكتاب القائمقامي لنال عملكم هذا القبول والتقدير وارتياح جلالة السلطان هذا ما فهمته من كلام بعض الواقفين على لديتات الأمور وبسطت المقال لبيان الواقع وبعد فالأمر بيد حضرة من له الأمر » .

— يستخلص من هذه الوثيقة رغبة الباب العالي في اصلاح الأمر بين محمد علي ووالي عكا حتي لا يختل الأمن والنظام في بلاد الشام .

وثيقة رقم (٢)

موضوع الوثيقة : ثقة إبراهيم باشا فى فتح عكا ومطالبة والده بضرورة الاهتمام بالأسطول المصري .

تاريخها : ٢١ رمضان ١٢٤٧هـ .

مصدرها : محافظ عابدين . صحيفة رقم ٢٣٢ وثيقة ٥٤ .

من سمر إبراهيم باشا من صحراء عكا

الى الجناب العالي :

« مولاي ولي النعم . قد تلوت الأوراق التي أرسلها أخيرا خادمتكم طوسيجه وجيجنيا^(١) والكتب التي جاءت من اسطنبول وأحطت بمضمون كل منها وعلمت منها أن دولتكم كتبت في أمركم السامي ما أصابكم في عهد كبيركم من ضجر وعناء من جراء مهمة عكا فيا مولاي ، لا يضيغن صدركم المبارك ، ولا تضجر وتقلق بالكم مسألة عكا إذ أن أجلها قد اقترب اقترابا محسوسا . نعم ، قد سبق أن صدرت منا تقصيرات وكان عبيدكم هذا قد اعترف بها . ولكن الآن فلستنا متواتين في أعمالنا حتى إذا وضعنا البارود في الثقوب^(٢) وانتهينا من اتخاذ الترتيبات التي نحن في صدد وضعها ان شاء الله الرحمن فلم يبق لدينا أي ريب في أن نفتحها بحوله تعالى بالزحف عليها . فانتظروا بشري فتح عكا لغاية ثمانية أيام إن شاء الله تعالى فإن لم نجد بعد فتح عكا سفينة حاضرة تقل عبيدكم عثمان بك فاني مرسلها^(٣) الى أعتاب مراحكم برا محمولة علي دواب البريد . ولتعد الي موضوعنا . فلو

١- أحد أصحاب البيوت التجارية الأجنبية ، وهما من قناصل الدول الأجنبية المشتغلين بالتجارة .

٢- يقصد الألقام .

٣- أي البشري .

أقدمت اسطنبول علي قتالنا كان فتحهم باب القتال من حسن حظ مولانا ولي النعم ، ومن سعد طالعه السامي . إذ أن صبت مولانا وشهرته وعزته ورفعته وحمايته لهذه الأمة انما يتحقق كل ذلك بالاصطدام بهؤلاء بيد أن جل رجائى من جناب مولاي هو أن تتكرموا بتجهيز الأسطول بكل اهتمام ودقة واخراجه مع قباقين^(٤) فى أقرب وقت ، وأني أناشدكم بالله ورسوله أن لاتصفوا الي مايقوله سرىزي^(٥) فى خصوص زينتته ونظامه^(٦) إذا أننا إذا قارنا كلامه الذي سيق أن أفضي به الي دولتكم فى القباقيين الأول والثاني بما قام به من الأعمال تبين أن من القضايا المسلم بها عدم جواز العمل لكلامه . وقد سبق أن أنبأنا فى الكتب الواردة قبل من الاسكندرية أن الفرقاطات المرسلة أخيرا الي الاسكندرية لتغيير سوارىها قد تتم أعمالها لغاية عشر من رمضان الا أننا لما سألنا عبدكم القبطان عبدي الذي حضر أخيرا من الاسكندرية في مدة ستة أيام قال لنا أن الفرقاطات لم تركب بعد سوارىها ففهمنا من ذلك أنه قد اتبعت فيها أصول سرىزي قبالتأخير واني لأراني مضطرا الي أن أضرع الي دولتكم مرة أخرى وأناشدكم بالله تعالي أن لاتثقروا بكلام (سرىزي) المذكور وتجهزوا الأسطول وقباقيين وتخرجوها عارية من الزخارف إذ أن خروج أسطولنا فى أقرب وقت يفيدنا من وجهتين : الوجه الأول أن اسطولنا لايدعهم أن يلقوا مراسيهم فى أى جهة باذن الله فيستحيل عليهم أن يرسوا فى ميناء مصر والوجه الثاني أنهم لن يستطيعوا أن يحاصرونا فى هذه الجهات فتتخسر مهمتنا اذا في البر فأيا رجل ارسلوه قانهم لا يستطيعون إرسال رجل أشجع وأقوي من

١- القباقي عبارة عن بارجة حربية كبيرة .

٢- سرىزي Cerisy مهندس بحري فرنسي اشتهر بالخبرة والدراية فى شئون البحرية ، وخاصة فى بناء السفن والأحواض والترسانات ، وقد قدم الي مصر فى عام ١٨٢٩ . فاستعان به محمد علي فى إعادة بناء بحريته .

عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، القاهرة - النهضة العربية الطبعة الثالثة ١٩٥١ ص ٤٢٨ .

٣- يقصد الأسطول .

عبدكم ابراهيم . وإن ساقوا أى نوع من الجنود لا يجدون مثل جنود العرب ^(٧) الذين جتدقوهم وأرسلتموهم الي معيتي . فأرجو أن تتفضلوا بالمسارعة الي تجهيز الاسطول واخراجه اما اذا كفوا عن قتالنا بعد هذا الظهور فاني لا أعد ذلك من عظيم سعد طالع مولانا ، ولكنني اعتبره مقياسا صغيرا من حسن حظه .

ختم

سلام علي ابراهيم

٧- يقصد الجنود المصريين .

يستخلص من هذه الوثيقة ما يلى :

- (أ) قلق محمد علي من تأخر سقوط عكا ، وتكبد قواته الخسائر الباهظة أثناء حصارها .
- (ب) قيام ابراهيم باشا بتطمين والده بأن عكا علي وشك السقوط ، واعترافه بوقوع بعض التقصير من قواته ، ووعده بتلاقي ذلك مستقبلا واستكمال استعداداته .
- (ج) مطالبة ابراهيم باشا لوالده بضرورة تجهيز الأسطول ، واستكمال معداته حتى يتمكن من الوقوف قى وجه اساطيل الدولة العثمانية .
- (د) اشادة ابراهيم باشا بتجنيد محمد علي للمصريين .

وثيقة رقم (٣)

موضوع الوثيقة : محاولات تسوية النزاع بين الدولة العثمانية ومحمد علي بالطرق السلمية .
وتحذير إبراهيم باشا لوالده من مراوغة الباب العالي خلال المفاوضات .

تاريخها : ٢٣ رمضان ١٢٤٧ هـ .

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٢ ترجمة الوثيقة رقم ٥٨ .

من سمو إبراهيم باشا السر عسكر .

الى الجناب العالي :

« هذا ما يبيده عبدكم :

تقلبت أمر دولتكم الصادر في ١٧ من رمضان ١٢٤٧ وتلوته بالاجلال والتعظيم وقد جاء فيه انكم اذ كنتم تعدون العدة من اجل ايقاد عبدكم بهرام أغا الخزينة دار ^(١) الى الاستانة اقترح المأمور نظيف أفندي ^(٢) على دولتكم أن يذهب اليها مع اثنين من رجال دولتكم المعتبرين في سير سريع للتوفيق بين هذا الاختلاف وحله ثم يعود وأنكم ناظرون في هذا الشأن ومنجزون ما تنفذه هذه الأقوال التي قيلت . وقد يخطر ببالي يا مولاي ، أن المأمور مصطفى أفندي المشار اليه أراد أن يمحس مافي في ضمير دولتكم بسؤاله . الا يصح أن تولي الدولة على عكا بعد فتحها وزيرا يتبع رضوانكم؟» وقد سبق أن دار هذا الحديث بيننا وبين برتو أفندي ^(٣) فلو قيل له يا أفندي لقد كنت رفعت الى المقامات العليا وبينت لها « اني لست

١- خزينة مأخوذة من الكلمة العربية خزانة ، وكلمة دار فارسية بمعنى صاحب أو مدير .

أنظر ، د . عبدالعزيز الشاوي : الدولة العثمانية دولة اسلامية مفترى عليها ج ١ ، ص ٥٩٦ .

٢- مصطفى نظيف أفندي أحد رجال الدولة العلية ورئيس محاسبة الحرمين .

٣- كتبخدا الصدر الأعظم . أنظر : أسد رستم . المصدر السابق ص ١٢١ .

طامحا في عكا وانما تريد أن يعزلوا عنها هذا السفينة ولهم الخيار في توليتوزير مناسب وارساله وليأخذوا الخزينة التي يجدونها في عكا إن شاموا» واني لم أزل ناويا هذه النية ، وكان غرضي من هذا أن احفظ لمصر شرفها ومكائنها في ظل الذات الشاهانية بهذه الوسيلة وأن أقدم للدولة العلية خدمة بهذه الملابس والملغأ^(٤) من الامور التي زعموها وذهبوا اليها لم تكن من الشئون التي تقع بخلدي ، ولقد التمسست قبل ايام اسناد ولايتي صيدا والشام الى تكرما من الذات الهمايونية . وانما قلت هذا بنية خالصة هي القيام بالخدمة نحو ديني ودولتي عامرا تلك الديار ومصلحا أحوالها . ولقد أصلحت أمور جزيرة كريت دون أن يدمي أنف أحد^(٥) حتي صارت الى هذا المصير الحسن فليستردوها اذا شاموا . اما اذا شاموا أن تصبح اكثر عمرانا فليتركها لنا . فهذا أمر منوط بمشئية الدولة العليا وحدها . أما إذا أرادوا أن يطعنوا في أو يسوقوا على جنودا متخذين وسائل من هذه المقالات فعليهم أن يفكروا في العاقبة التي تترتب على ذلك . لأننا نضطر بلا مرية الي عمل ما نستطيع عمله غير ملتفتين اذ ذاك الى أي شيء من تلك الاعتبارات .. فاني لأظن علي مايجزم به عقلي القاصر أنه لن يجد اجابة علي هذا التصريح وأما مصطفى أفندي^(٦) فقد يفهم من اقتراحه السفر والعودة مع اثنين من رجال دولتكم الاعتبارين انه يعتمد الي خدعه يريد التخلص بها اذ أنه لم ينبغي أن تكون هناك حاجة الى سفره مرة أخرى الى اسطنبول والعودة منها لانجاز المهمة وقضائها ، لأن الموفدين حتي الآن لانجاز مثل هذه المهام قد قضوا مهمتهم كتابة ولم يدعوا الي رجوعهم الي اسطنبول . ولايبعد أن يقصد هذا من رغبته في السفر الي اسطنبول مع اثنين من رجال سموكم الاعتبارين محض اقناعهما بزخرف الكلام وملأ أدمغتهما كما يشامون وتلويح أسئلة اساتيدهم^(٧) وأجوبة هذين

٤- كذا في الأصل ولعلها اللفر .

٥- يقصد بنون اراقة دماء .

٦- يقصد مصطفى أفندي نظيف .

٧- كذا وردت وأظنها أسألتهم .

الرجلين واذاعتها في كل جهة اتهاما لمصر ثم اعادتهما الى مصر ليفرغافيها ما ملئ به دماغهما ليكونوا رابحين من هذه الوجهة ايضا . ولئن ارسل نفر من رجال دولتكم المعتبرين لاستطيعوا مجاوبة أولئك القوم فلذلك أفضل أن يتدب المفردون من صفار الرجال اذ كان أريد من انتداب رجل أو رجلين لكي يحدثوهم كما علموا وصفرة القول يؤخذ من ظواهر أحوال مصطفى افندي وأطواره ، ومن كلمات رجال اسطنبول المنطوية علي الفساد ومن ضغائنهم الطبيعية ان حكومة استنبول اتبعت في هذه المسألة سياسة ذات وجهين فانتقبت مصطفى افندي مزودا بخدع ودسائس لاكتساب الوقت وتنفيذ اغراضهم الأصلية اذ نحن اقمننا هاهنا عند عكاه ، أو محايلتنا اذ نحن لم نقدم عندها ، ريشما يجدوا وسيلة لوقف زحفنا الي الأناضول وتوغلنا فيها توغلا بليغا . ولذلك لما سمعوا اشاعات مبالغ فيها عن الفشل الذي أصاب أصحاب السفن المصرية في ضرب عكا قالوا هذه هي فرصة هزيمتهم التي ينبغي انتهازها وتوسلوا بتحقيق اغراضهم المشنومة التي كانت تكنها صدورهم من قديم الزمان . وهذا أمر معلوم ظاهر من أعمالهم وحركاتهم وأطوارهم ولئن نظرنا الى اتهماك حكومة اسطنبول ومبالغتها في اعداد الاسطول والي دعوتها والي سلسة دعوة خاصة وشموله بالعطف والاكرام الي هذا الحد وتنزيلهم جنودا الى سواحل انطاكية والعلانية فلا يبعد أن يقصدوا مصر بأسطولهم مباشرة في حين سوقهم علينا جنودا نظاميين وغير نظاميين من جهة البر متظاهرين بأنهم يقصدون بر الشام ونفهم من قرائن أحوالهم أنهم ماداموا لا يخافون بأس الأسطول المصري بحكم الاشاعات المبالغ فيها التي سمعوها ففي أماكنهم أن يرسوا أمام الاسكندرية أو ابو قبير أو يورلس^(٨) ودمياط ان لم ينزلوا جنودا الي السواحل المصرية وهم يزعمون أنهم يقدرون بذلك علي منع نقل الذخيرة والمهمات الي هذه الجهات كما يستطيعون اغراء أهل البلاد وتخريضهم . والحق أن اسطولهم لو خرج بسرعة فأخطأ بنا ولم تأتنا قيل ذلك

٨- كذا في الأصل ولعلها البرلس .

من الذخيرة ما يكفيننا نحو أربعة أشهر أو خمسة فانهم يستطيعون أن يخرجونا هاهنا ويذيقون ضائقة شديدة ولا ريب أن الذي يحمي السواحل المصرية ويمنعها من حصارهم ويحول دون رسوهم في أى جهة كما يرومون ودون انزالهم الجنود ، إنما هو الأسطول المصري ولا مرء أنهم يخشونه فلستم دولتكم في حاجة الي من يعلمكم بل أنتم أعلم من كل أحد بوجوب اعداد الأسطول المصري في أقرب وقت عاريا من كل زينة وزخرفة مكتفين بالأعمال البخارية واخراجهم الى عرض البحر ، ولا يخفى على دولتكم أن ذلك من أهم الأمور لذلك نرجو من هم دولتكم أن تعدوا التباقي الثالثة^(٩) في أقرب وقت دون أن تفوتكم دقيقة واحدة نظرا لما تقتضيه الأحوال مهما أمكنكم علي أن لا تنشأ فيها غرف بل تنجز أعمالها طبق أصول عبدكم الحاج عمر^(١٠) فتخرج الى البحر ، وإن لا تتوقف كل سفينة أعدت وتم بناؤها في ميناء الاسكندرية بل تخرج الى رحبة الاسكندرية فتقوم بالتدريب والتعليم ويؤخذ من أحوال والى الشام والضائقة التي يعانيها بأن أخذ الألفين وخمسمائة اردب الشعير المجموع في قلعة مزيرب^(١١) ومجموع البرغل الموجود بها لنفقات الحج ونقلها الى الشام وصرفها فيها بسبب القحط الذي أصابها ، ونظرا لأن المبالغ المعنية المرصودة لأجل الانفاق نقدا قد نقصها أربعة الاف كيس ، ونظرا لعدم مبالغته واهتمامه بذلك يؤخذ من كل ذلك أن الحاج المسلمين ليسوا بعابري طريق الشام في هذه السنة المباركة فهل تؤذن الى الحاج المسلمين بأن يسافروا عن طريق مصر أى أن نكون نحن قدوة في الاعلان بانهم ليسوا مسافرين عن طريق الشام ، فهذا أمر منوط باقرار ارادتكم السامية ، ولما كان كلا من آلاي المشاه المرابطين بجزيرة كريت مدريا أحسن تدريب فاني اظن أنه يحسن لو أعيد الى الاسكندرية فيعسكر بها وبأبوقير ولاسيما الآلاي الثاني الذي يعادل

٩- بارجة كبيرة دخلت البحرية المصرية في ايام سبريتزي .

١٠- من أهالي الاسكندرية . كان مهندسا بارعا في فن بناء السفن كما كان صاحب ادارة ومعرفة في فنون

البحر للتفاصيل انظر : الرافعي المرجع السابق ص ٢٤٩ .

١١- تقع المزيرب شرقي بحيرة طبرية .

آلايين . ومن أجل هذا يفضل أن يرجعوا الي مصر ويرابطا بها . ويقول عبدكم عثمان بك (١٢) أن في استطاع ولدكم مصطفى باشا أن يدبر الجزيرة المذكورة مع الآلاي الحادي عشر والجنود السكيبانية (١٣) والفرسان الموجودين غنى معيته ويطمن انه اذا وضعت على هذه الصورة عشرة بلوكات من جنود الجهادية ، وبلوك البلطجية (١٤) في قلعة حانيا وستة بلوكات في قلعة رسو وارطتان في قلعة قنبدية ووزع الجنود الآخرون السكيبانية والفرسان في خارج البلد بالنسب التي تقتضيها الأحوال واتبع ولدكم مصطفى باشا الحكمة والتدبير في اعماله فلا يخشي خلل على ادارة تلك البلاد . والأمر لحضرة من له الأمر عند اطلاع دولتكم علي ما قدمناه .

سلام علي ابراهيم

الخاتم

١٢- هو عثمان نور الدين أميرال الأسطول المصري .

١٣- السكيبان تعني كلاب الصيد ، وكانت هذه اللفظة تطلق علي طوائف من الجنود غير النظاميين الشناري : المرجع السابق ج ٢ ، ص ٧٤٠ .

١٤- فرقة عسكرية تعني قاطعي الأشجار ، أما عن كلمة بلطجي فهي شائعة الاستعمال في الوقت الحاضر وتعني الشخص المنحرف ذا القوة العضلية الذي لا يكتسب بالخروج على القانون في سبيل تحقيق اهدافه .

للتفاصيل انظر : د. عبدالعزيز الشناري : المرجع السابق ، الجزء الاول القاهرة . الانجلو المصرية ١٩٨٠ ص ٤٧٤ - ٤٧٥ .

- يستخلص من هذه الوثيقة :

انه في محاولة لتسوية النزاع بين الدولة العلية ومحمد علي بشأن عكا اقترح ابراهيم علي والده انه طالما ان الهدف من حرب عكا هو عزل واليها عبدالله باشا والمحافظة علي أمجاد مصر في ظل السلطنة العثمانية فانه يري أن تعيين والي جديد من قبل الدولة العثمانية علي عكا يكون حائزا لثقة محمد علي سيكون فيه حل للمشكلة . وحذر ابراهيم من مراوغة الدولة العثمانية في المفاوضات بهدف اطالتها حتي تعيد حساباتها العسكرية ، وتتمكن من ايقاف تقدم الجيش المصري كما حذر العثمانيين من اللجوء الي القوة مهددا لهم بسوء العاقبة . وناشد ابراهيم والده الاهتمام بالاسطول المصري ، وسحب بعض القوات المرابطة في كريت للمساعدة في حروب الشام .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة : فرمان ^(١) من السلطان العثماني محمود الثاني باستاد منصب السر عسكر لبلاد الشام الي محمد علي باشا في تظير إعداده العدة لطرده محمد علي من بلاد الشام .

تاريخ الوثيقة : آخر شوال ١٢٤٧ هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفوظة رقم ٢٣٢ ترجمة الوثيقة رقم ١٦٠ .

« فرمان سلطاني الي محمد علي باشا والي حلب ورقه وسر عسكر بر الشام » « الدستور المكرم ، نظام شئون العالم ، مدبر أمور الجمهور بالفكر الثاقب متمم مهام الانام بالرأي الصائب ، مهدي بنيان الدولة والأقبال مشيد أركان السعادة والاجلال ، المحفوف بصنوف عواطف الملك الأعلي والي حلب ورقة الحالي وسر عسكر سواحل بر الشام وسائر بلاد العرب ^(٢) أدام الله تعالي اجلاله .

اعلم اذا بلغك هذا التوقيع الرفيع الهمايوني ^(٣) أنني لما أسندت الي عهده لباقتكم ولاية حلب مع منصب السر عسكر لبلاد الشام احسانا همايونيا مني وأصدرت في ذلك أمرا شريفا وأرسلته اليكم ذكرت فيه مفصلا وموضعا أن سوق الجنود من مصر على عكا يخالف رضائنا السلطاني من كل وجه فكتب كتاب من لدن قائمقامي ^(٤) يتضمن النصيح والتذكر منعا لسفك

١- فرمان هو الأمر السلطاني الصادر عن الديوان الهمايوني في الاستانة .

٢- يقصد بلاد الشام .

٣- التوقيع الهمايوني هو العلامة الملكية التي توضع على القوامات ، علما بأن لفظة همايون فارسية الاصل ومعناها اللغوي مبارك أو حسن الحظ أو مقدس . انظر :

Gibb, Hamilton and Harold Bowen: Islamic Society and the West Vol.I, Part 1, P 47 .

٤- قائمقام لقب اصطلاحى يطلق في العادة على من يقوم مقام واحد أثناء غيابيه .

الدماء بين الفريقين واتقاء اطلاق الرعية وازعاجهم كما أوفد أحد رجال الدولة العلية الي مصر لهذا الغرض . وقد راعينا مع ذلك لوازم الحزم والاحتياط فأعدنا معدات قوية برا وبحرا ، وابتغيينا مهمات كلية لكي تنفذ فيه حكم الفتوي الشريفة التي صدرت فيه اذا هو لم يرجع عن طريق غيه وبغيه ولم يسحب جنوده متبعا في ذلك التسريعات الشيطانية فجنودنا جنودا من جميع انحاء الاناضول والروم ايلي^(٥) والبوسنة وبلاد الأرناؤوط والآستانة وأنشأنا آليات وجعلناهم تحت امرتك وأرسلناهم مع الوزراء الذين انتدبوا لقيادتهم والرجال الميرميرانية وسائر المأمورين وطفقنا نرتقب النبا الذي يأتي من مصر فجاءت منه عريضة قبل أيام سرد فيها اعدارا واهية ومطالب فاسدة فأجبناه بأن اجابه مطالبة أمر محال بل فوق المحال وانذرناه وخامة العاقبة مرة أخرى وأردنا أن نوقظه ونذكره . ولكن لم يأت منه رد حتي الان كما أنه قد أظهر بدلالة القرائن الحالية أنه سيظل مكبا على الفساد الذي ألقاه ومصرأ على مخالفته وطفواه . لنضرب عن كل هذا صفحا فانه قد حال بين الحاجاج الموحدين الذين هم مفاخر الاسلام وبين سفرهم وقدمهم في هذه السنة المباركة فأظهر مبالغته في القيام بأعمال البغي والطغيان ، ولم يقدر النعم التي نالها في ظل شوكتنا الشاهانية ولاشكر مساعدتنا السلطانية فكان اجتساره آخر الأمر على اقتراح الأفعال التي لم يسبق لها مثيل قط من الأمور التي لا تقبل التأويل ولا التفسير . ولئن لم يدخل بعد ذلك في دائرة الطاعة والانقياد دخولا حقيقيا ومن صميم قلبه ولم يسحب جنوده المخذولين الي حيث أتى بهم لأرينه قوة سلطنتي القاهرة كما هو مفروض على ذمتي الشاهانية لذلك كان مما اقتضته ارادتي الملكية أن يسير المأمورون من فورهم هذا برا وبحرا بسير سريع فينفذوا ما أمروا به . فأرسلت أوامر عليه شاهانية الي كل من المأمورين فردا فردا بموجب خطي الهمايوني المقرون بالمهابه الذي زاد صحيفة الصدور والسفرح شرقا فاذا أحطت بما تقدم تفصيله أنت ايها السرعسكر المشار اليه فأعلم أنك لما كنت مشمولا بعطفنا

١- تعني ولايات الروم وتكتب أحيانا الروميلي .

واعجابنا من بين وزرائي العظام المحمودي السيرة ووكلائي الفخام المرضي الاثر لما اتصفت به من كمال الفيرة والشجاعة وماعرفت به من حسن الروية والالمام بتصريف الأمور وماشهد لك به حتي الآن من المهمة والصدقة فقد نصبتك سلطنتي السنية سر عسكر مستقلا لحطة بلاد الشام باستقلال تام وترخيص كامل على أن يكون لك الخيرة في الاحسان الي الذين يجاهدون معكم ويخدمون بالصدقة في تصريف كافة الأمور التي تختص بمنصب السر عسكرية الخطير ولا سيما في أموركم ، وفي تأديب الذين يجرأون على العمل بما يخالف الرضاء وتنكيلهم كائنين من كانوا ، وفي منحكم من ترونه استحق رتبة من رتب باب دولتي العلية بالخدمة والصدقة الرتبة التي استحقها وابلاغ أمره باب سعادتني كتابة مبيينين أسماهم والقابهم لكي تصدر المراسيم اللازم اصدارها ونرسلها اليكم ، وقصاري القول فيما يتعلق ببلاد الشام من عزل ونصب ونفي وتأديب وترقية فيكون كل من شكرك وشكايك مشمرا لدي مقامنا الشاهاتي ، ولا يغرب عن ذاتك الصادقة أنك بمآثر أوصافك الحميدة مشمول بحسن توجيهاتي الشاهنية وبوثوق واعتماد واعتقاد من لدن ذاتي السلطانية . واعلم لأن تقوية نفوذك من وجه وشد عضدك اظهار لمقدرتك أمر ملتزم لدي ذاتنا الملكية فأرجو منك وانتظر ان تظهر صداقتك وغيرتك في هذا الشأن وغيره من الشئون بمقتضي جوهره لباتك المكنونة في ذاتك وما اتصفت به من الشجاعة والدراية فاذا أوصل اليكم امري الشريف فعليكم أن تصبحوا الوزراء والميرميرانية وسائر الموظفين لمعيتمكم فتبذلوا همتمكم وجهودكم في هزم جنود مصر الموجودين من حلب لغاية طرابلس وحول عكا . وقد صدر فرماني السامي متضمنا تأكيد انتدابكم واستقلالكم . فأمرك أن تعمل بمضمون هذا الفرمان الواجب الاتباع والامتثال الذي صدر على الوجه الذي تقدم عندما يصل اليك وأن تعتمد على العلامة الشريفة .

تحريرا في أواخر شوال سنة سبع وأربعين ومائتين والـ ف .

طبق أصله العالي الفقير اليه قائمقام

عز شأنه كبلاتي زاده السيد شرف القسطنطينية المحروسة

الدين المولي خلاقه بحماه علي عنه .

وثيقة رقم (٥)

موضوع الوثيقة : فتوي فحواها أن من يموت من عساكر عكا يدخل الجنة ومن يموت من عساكر
محد علي يدخل النار .

تاريخها : بدون

مصدرها : محافظ عابدين . محفظة رقم ٢٣٥ صورة المرفق العربي للوثيقة ١٤٠ .

« ما قول الأعلام عفي عنهم الملك السلام »

فى خارجي خرج عن طاعة الامام السلطان الأعظم وجمع له أقواما كثيرة وخرج من موضعه
يريد سبي أبناء الاسلام وسفك دمائهم واستباحه أموالهم وأعراضهم وجهاز عدة الحرب والقتال
للالسلام ، وصدر الأمر المملوكي الخاقاني بالتفجير العام لرده وزجره وردعه عما هو عليه فهل
يجب على الخاص والعام من كافة ديار الاسلام قتاله ورده وردعه عما هو عليه قاصدله ، وهل
إذا هلك أحد منهم يكون الى النار وإذا مات أحد من أبناء الاسلام الرادين له فى الجهاد يكون
شهيدا ومثواه دار النعيم أفيدوا بالجواب ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب .

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبى بعده

حيث الحال كما هو مقرر فى السؤال ، وصدر الأمر المملوكي بالتفجير العام لقتال
هذا الباغى الخارج عن طاعة الامام يجب على كل مسلم قتاله ومن كان موافقا له
فيما قصد ، وان مات أحد من المجاهدين يسكون فى الجنة ولا كلام وإذا هلك
أحد منهم ومن وافقه على ما يريد فى النار دار الجحيم والله أعلم .

الفقير اليه عز شأنه

الشيخ محمد أفندي الشافعي عفي عنه

الفقير اليه عز شأنه

السيد محمد أفندي المغربي الحسبي

المالك عفي عنه

الفقير اليه عز شأنه

السيد الحاج محمود أبو الهدي

قاضي عكا عفا عنه

الفقير اليه عز شأنه

السيد سعد أبو الهدي الناجي

مفتي عكا عفي عنه

يستخلص من هذه الوثيقة :

ان علماء عكا استندوا في قضايتهم بدخول من يموت من مداقمهم الجنة ودخول من يموت من قوات محمد علي
التار على أن السلطان كان قد أعلن خيانه محمد علي للدولة ، ومروقه على دين الله وعزله .

وثيقة رقم (٦)

موضوع الوثيقة : محاولات محمد علي رفع روح قواته المعنوية .

تاريخها : ٢٢ ذي الحجة ١٢٤٧هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفوظة رقم ٢٣٤ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ٩٦ .

من ابراهيم يكن

الي الجناب العالي

أتشرف بعرض مايلي على مولاي

بمجرد أن تسلمت أمر مولاي القاضي بجمع الميرلومات والميرلايات والقائمقامين والبيكباشية الموجودين معي وتلاوة هذا الأمر الكريم عليهم لتبليغهم تحيات مولاي الكريمة اليهم وآماله الكبيرة التي ينتظر أن تتحقق فيهم من اظهار الشجاعة وبذل التضحية عند الزحف الذي سيبدأ فيه في القريب حتي يكونوا بعد تبليغهم هذه التحيات والاوامر الكريمة عند حسن ظن مولاي فيهم ويرهنوا على انهم شجعان ويسل حقيقة قد جمعتهم كلهم وفتحت الأمر أمامهم وتلوته عليهم فلما انتهيت من التلاوة قالوا كلهم نحن صبيد سيد واحد وزهرة دوحه كريمة واحدة كذلك ومستعدون لتضحية انفسنا بكل سرور في سبيل مولانا ولي النعم لا في هذا الوقت فحسب بل في كل الاوقات ثم ابتهلوا الي الله تعالى باطالة بقاء مولاي ولي النعم ودوام عزه المجيد فكتبت بثناء على ذلك هذه الافادة حتي يحيط علم مولاي علما وعلى كل فالامر له في كل الاحوال .

يستخلص من هذه الوثيقة مايلي :

.. محاولات محمد علي شحذ هم الضباط والجنود المهاجرين لعلهم يارسال تحياته اليهم ومطالبتهم لهم باظهار

الشجاعة وبذل التضحية .

.. اعراب الضباط والجنود عن استعدادهم للتضحية بأنفسهم في خدمته .

وثيقة رقم (٧)

موضوع الوثيقة : قزع الدولة العثمانية بسبب سقوط عكا .

تاريخها : محرم ١٢٤٨ هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفوظة رقم ٢٣٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٨٨.

ترجمة الكتاب الرومي العبارة ^(١) الوارد من الخواجة توسيجه باسطنبول في اثني عشر يوما في ليلة أول أمس ، وصل الى هنا رسميا نبأ الاستيلاء على قلعة عكا فحدث هزة عنيفة لدي الدوائر الحكومية شملها بأس وحزن شديدان فدعي القبو كتحدا نجيب افندي الى الباب العالي وقلد نيشانا واحدا وصدر اليه الأمر بأن يسافر مع الجيش ويلحق بالسر عسكر حسين باشا ^(٢) وليس يعلم أحد الأمر الذي دعي من أجله نجيب افندي ولم يكن ينتظر أحدا فتح قلعة عكا فورود خبر الاستيلاء عليها الآن أقلق بال الدولة العلية اقلاقا حقيقيا بالغا للغاية . ولم يعامل تابع نجيب افندي القادم من مصر الي اسطنبول حاملا المكاتبات بأي معاملة فترك علي حاله . هذا وقد ذهبت اليوم الي الترسانة لبعض شأني ، ولم أر فيها أثرا من العناية والنشاط اللذين كانا يسودانها قبل خمسة أيام لاعداد السفن المتأخرة واخراجها الى البحر بسرعة والذي يبدو من القرائن الحالية أنه صدر أمر بالعدول عن اعداد السفن والرأي السائد بين الجمهور أن أسطول اسطنبول لا يريد أن يكون عاملا لاثارة الحرب ، ولكن داخلهم خوف بالغ من جلاء سفن النار الجارية الانشاء هناك متسائلين عن الغاية المنشودة من انشاء هذه السفن .

١- يقصد به المكتوب باللغة التركية ، وكلمة الروم حسب المعنى الشائع في ذلك العصر يقصد بها الدولة العثمانية .

٢- من اعلام العسكريين العثمانيين ، وكان ذراع السلطان في التخلص من الانتكشارية وهب له السلطان ولاية مصر وكريت اذا استطاع هزيمة الجيش المصري ، ولكن البطولة التي ابدتها رجال الجيش المصري والانتصارات التي حققوها قد حالت دون ذلك .

للتفاصيل انظر الرافعي : المرجع السابق صص - ٢٦ - ٢٦١ .

وأیضا : الشناوي المرجع السابق ج ١ ص ٥٢٢ .

وفى ظني أن الدولة العلية ستعرض للمصلح عما قريب . ولسبب عرض الصلح من جانبها يلاحظ ان الجانب المصري يقابل هذا العرض بالاباء ويظهر شيئا من الدلال . والأنباء التي تصل الينا من الأناضول تفيد أن العساكر المجتمعة فيه تعاني أزمة شديدة فى المؤن والمهمات وبقية اللوازم وفى النقود بصفة خاصة إذ لم يصرف للجيش منذ سافر من هنا إلي الان الا مبلغ ثلاثة آلاف كيسه . ويشعر خسرو باشا فى هذه الايام بخوف شديد فالوقت الحالي أنحس الاوقات بالنسبة له فان له عدوا هائلا وبناء على هذا السبب لا يغيب عن حضره السلطان دقيقة واحدة .

يستخلص من هذه الوثيقة :

مدى الهلع والفرح الذى أصاب العثمانيين نتيجة لسقوط عكا .

وثيقة رقم (٨)

موضوع الوثيقة : رغبة محمد علي في استغلال فتح عكا بالتقدم نحو باقي المدن الشامية .

تاريخها : ٩ محرم ١٢٤٨هـ

مصدرها : محافظ عابدين . محفوظة رقم ٢٣٥ ترجمة الوثيقة التركية رقم ٦٤ .

من ابراهيم باشا الى محمد علي

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي بدون من

في اليوم الثامن من شهر محرم الحرام سنة ١٢٤٨ تلتقيت بيد التعظيم أمريكم الساميين
الصادرين بتاريخ ٤ منه وفيهما أن فتح عكا قد القي بالطبع الرعب والدهشة في قلوب
الأعداء القاسية وأنه يجب انتهاز هذه الفرصة عملا بالمثل القائل « يطرق الحديد في قوامه من
الحرارة ^(١) فيتحرك خلال هذه الايام القليلة الى الميادين التي يربط فيها مخالفونا ويعني
بقهرهم والتفكيك بهم وصدهم الى حد حلب وانه اذا كان حسين باشا وصل الى حلب فلا
يستطيع تكوين جيشه الا عدة شهور يكون الموسم الحالي وقت حصاد المحصول وبعد ذلك
يعتريهم الملل والسامة كما هي عادة امتنا من القديم يتبع هذه السامة الضعف والاضطراب
وسوء الحالة واذا كان الأمر كذلك فينظم الان لوازم عكا ثم يلتحق مع جميع الجنود الى الجيش
المتصور المعسكر في زحلة وعلبك وطرابلس وبعد قضاء ثلثه اشهر في تلك الجهات يهجم
عليهم . وأما الاستيلاء على دمشق لأنها عاصمة القطر فيؤدي سقوطها أولا الى سقوط
الجهات التابعة لها ولأن الكافي من الجسائل اللازمة لنقل الجيش لا يمكن الحصول عليه قبل
الاستيلاء عليها.. فقد احيل ذلك الي رأيي بسبب وجودي هنا ومعرفتي وماقتضيه الظروف.

١- مثل تركي نصه « تيمورتا ونه دو كولور » وترجم كما يأتي ايضا : يطرق الحديد اذا بلغ قوامه من
الحرارة . المترجم .

مولاي .. لما كنت قد وصلت الي سهل عكا عسكرت فيه مع الجيش أوقد وجوه الشام وسلمهم لتقديم الولاء والاخلاص فكانت أقوالهم تعرب عن شعورهم بالغبطة والفخر بالعبودية لجنايكم واقترحت عليهم ايفاد خادمكم عباس باشا الي هناك فالتمسوا ارجاء الي ما بعد حل مشكلة عكا ولما فرغنا من أمر عكا بتوفيق الله تعالي واستشرتهم في الزحف هناك أولا قبل القيام بأي عمل آخر فعاد الساعي المرسل اليهم حاملا كتبهم في هذا الصدد واني ارسلتها الي اعتباركم بالبريد الذي قام مساء فستتفضلون وتعلمون منها أن الشاميين متلونون ثم اتهم يجمعون الي تلونهم بالالوان العديدة التي ظهرها بها حتي الان الأشادة بالطرف الذي يرون القوة والانتصار في جانبه لذلك أري أنه لو عدل عن فكرة الاستيلاء على الشام (دمشق) وزحف إلي حد حلب فيلاحظ عليه أولا ان الزحف يقع في أشهر يونيه ، يولييه واغسطس وهي الاشهر التي يشتد فيها الحر وتتهلك قوي الطرف الذي يتجشم فيها السفر وثانيا اذا قيل فليزحف في كمية كبيرة من العتاد والآلات الحربية يرد على هذا القول بأنه لايمكن القيام وفقا للمطلوب بسبب قلة الدواب وعليه فإذا قمنا من هنا قاصدا بعلمك ومنها الي حمص في عدد كاف من الجنود نطرد الباشوات المراقبة فيها ثم عدنا الي بعلمك بعد طردهم واقمنا بها مشغولين بتدريب الجنود علي الاعمال الحربية منتظرين وصول السردار المشار اليه - واقرب الاحتمال عندي أن الذين ينتظرون ردهم من اسطنبول انما يأتون من طرابلس لأنها في ساحل البحر وفيها مناطق عمرانية بخلاف حمص فليس فيها شيء مما ذكر - حتي اذا وصلوا من حيث ننتظر سرتنا لمقابلتهم ، فلا نأمن من حينئذ وقرع الفتنة في مؤخرتنا لما نعهد في الشاميين وواليهم من خلة التلون واثارة الفتن . ولهذا كله يتراءى لي أن الصواب أن أزحف أولا الي الشام (دمشق) حتي اذا قرغت من أمرها وصلت الي بعلمك ومنها اقصد الي حمص في عدد كاف من الجنود لطرد الباشوات المراقبة فيها وبعد ذلك أعود الي بعلمك واقيم بها مشغولا بتدريب الجنود ومنتظرا وصول العساكر التي متصل من الأناضول كما سبق شرحه .

ثم انني لو عقدت هنا اجتماعا من القواد الموجودين في جيشكم المنصور لاشاورهم

فى هذا الصدد لقالوا بلسان واحد « سكر ! سكر ! » مثل البيغاء (يقصد الموافقة) - يؤيدنى فى الرأى السالف البيان خادمكم الامير بشير الواقف على شؤون هذه الجهات المتصف فى ذاته بالدراية وادراك الحقائق . هذا ولما كانت وديان بعليك والبقاع معمورة فلا نعاتي الضيق فى التموين ففي إمكاننا شراء المؤون بالمال اذا اقتضى الامر ذلك فيمكن تموين جيشكم المتصور فى هذه الجهات مدة الانتظار وبعد خلال هذه المدة الفرسان المرسله مع خادمكم السلحدار أغا وسأرسلهم مع عرب (انزه)^(١) الى حد حلب ليقوموا بغارات عليهم فلا أذيقهم طعم الراحة خلال الاشهر الثلاثه المارة الذكر ايضا بفضل هتكم القاهرة .

وبناء على الملاحظات المسروده قررت القيام الى الشام (دمشق) بأذن الله تعالى فى يوم السبت الموافق الحادي عشر من الشهر الجاري المبارك كما عرض قبل يومين . واذا تفضل مولاي وعلم ذلك سألته أن يشملني بعطفه القلبي الذي احتاج اليه باستمرار .

١ - لعله يقصد عنزه .

يستخلص من هذا الوثيقة مايلى :

- رغبة محمد على فى استغلال الاضطراب والفرز الذي حاق بالعثمانيين نتيجة لاستيلاء قواته على عكا
- بالتحرك نحو باقي المدن الشاميه والاستيلاء عليها .
- استجابة ابراهيم باشا لرأى والده وقيامه بالزحف على دمشق .

الملحق االث

وثائق خاصة بحروب الشام

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : أهمية الانتهاء من مسألة عكا، مع تأمين السواحل المصرية ضد أي هجوم بحري عثماني، وتأمين طرابلس (الشام) ضد الهجوم البري العثماني المتوقع.

تاريخها : ٢٧ رمضان ١٢٤٧هـ^(١).

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٢، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٧

من : سمو إبراهيم باشا.

إلى : الجناب العالي.

هذا ما يديه عبدكم،

تلقيت أمركم الكريم الصادر في ٢١ رمضان سنة ١٢٤٧ وعلمت منه أنكم اطلعتم علي ترجمة كتاب عبدكم مصطفى أغا البربر^(٢) فعلمتم منه أن عثمان باشا^(٣) قد وصل اللاذقية وذكرتم أن دولتكم تتوقعون حدوث مضرات عديدة تترتب علي قدوم الياشا المشار إليه تلك الديار فأمرتم بالزحف عليه وتكيله أما بنفسه وأما بانتداب أحد عبيدكم القواد وحتى نطرد الأغيار^(٤) من الديار الداخلة في حمايتكم الحديدية وتشتيت شملهم. مولاي، لقد كنت أبلغت أعتاب دولتكم المباركة في هذا الشأن قبل هذا أن اللاذقية بلد مكشوف غير محصن يقع من

١- الموافق ٢٩ فبراير ١٨٣٢م.

٢- حاكم طرابلس من قبل محمد علي.

٣- هو عثمان باشا اللبيب، عينه الباب العالي والياً علي طرابلس وأرسل معه ٢٠ ألف مقاتل، ليكونوا طليعة القوات العثمانية المكلفة بطرد محمد علي من بلاد الشام.

٤- هكذا في الأصل وصحتها المغيرين .

ههنا علي مسيرة عشرة أيام في حين أنها تقرب من حلب مسافة مرحلتين، ومرحلتين ونصف مرحلة أو ثلاث مراحل علي الأكثر، فثن زحفنا علي اللاذقية ثم عدنا إلي هذه الديار بعد أن نهزم المشار إليه لدخلها جنود من حلب قبل أن نبلغ هذه الديار، ولو لم نعد وأردنا المقام هناك لما أمكننا ذلك لسبب الذخيرة والمناسبة حصار عكا الحالي، ولو شئنا أن نترك عدداً من الجنود كان ذلك عملاً غير صالح إذ أنه لا ينبغي أن يُترك الجنود في مثل هذا البلد غير المحصن مهملين بدون ذخيرة، من أجل ذلك قد اتخذنا التدبير الآتي لحفظ هذه الجهات وحراستها بعد تفكير وتشاور، وهو أن حدود محافظة هذه الولاية هي قلعة طرابلس من جهة الشمال، وهي تقع علي ساحل مستو من ينبوع جار وراء (المر) الواقع في سفح جبل الدروز الذي يظهر مظهر الاتصال بتلك القلعة. ولا يوجد في سلسلة جبال الدروز الممتدة من شمال هذه القلعة نحو الشرق ثم إلي جهة القبلة^(١) شئ من (المرات) حتي تبلغ حذاء صيداء أي ليس فيها (.....)^(٢) ولكن هناك جسران (أي كوبريان) يقعان بين منبع نهر بوردان الذي هو التخوم الشرقية لولاية صيداء وبين القدس الشريف وحماه وهما بنات يعقوب وجسر الجامعة^(٣) ولقد سمعت من قبل أنه لا يمكن سوق المدافع والمهمات في أيام الشتاء إلا عن طريق هذين الجسرين وأن النهر المذكور يمكن عبوره صيفاً من عدة مواضع فانتدبت خبراء ليقوموا بالكشف والمعاينة علي طول الساحل من ههنا وعلي طول سفح جبل الدروز الواقع في داخلية البلاد فاستطلعوا أحوال الطرق والبلاد وكان بقي هذا النهر والأرض الواقعة علي طوله فانتدبنا عبدكم المهندس قاسم أغا قيل يومين وكلفناه كشفهما واستطلاعهما وآتيناه

١- أي من الجهة القبلية أي جنوباً بشرق .

٢- بياض في الأصل لعلها (معاير أو ممرات) .

٣- أو جسر المجامع .

خربعين^(١) (أدلاء) خبراء حتي إذا أتم كشف تلك الجهات كشفاً لايقاً^(٢) في بضع أيام وعاد فإذا علم من درسه هذا أن النهر المذكور يسمح بالعبور تحصنه إذا بإحداثنا موانع إصطناعية بتطبيق الأساليب البديعة الحربية باتخاذ حصون وخنادق أو وسائل أخرى، فإذا تم هذا استطاع خمسون رجلاً أن يقفوا في وجه مائة وخمسين ألف جندي ويقاوموهم ويصدوهم لكون طريق طرابلس وعرة جداً وإذا ظهر أن لهذا النهر مواضع تصلح للعبور فسنحدث للجسور (الكباري) والمعايير استحکامات كرؤوس الجسور، ولما كنا عاملين علي تحصين طرابلس وصيحاء وبيروت وصور من جهة البحر كما أننا سنحصن حيفا، ولما كانت البلدة الواقعة بين هذه الحدود محفوظة محكمة كأنها قلعة أنشئت جدرانها من الحديد فلن نكون في حاجة إلي إرهاب جنودنا بسوقهم هنا وهناك، تستمر علي ضرب هذه القلعة من جهة ونكون متأهين مستعدين ومعنا الجنود الجهاديون أولو البأس والنشاط علي مختلف أنواعهم، من ناحية أخرى.

ولو فرضنا أن العدو قد اقترب من طرابلس فإن في طرابلس الآن أربع أوط^(٣) وخمسة بلوكات من المشاة وبلوكاً واحداً من مدفعية الجهادية وجنوداً درزيين ونابلسيين مع عبيدكم الأمر خليل^(٤) والشيخ حسين الهادي^(٥) وأخيه يتراوح عددهم بين الألف وخمسمائة وبين الألف وثمانمائة كما أننا كتبنا إلي عبيدكم مصطفى أغا أن جند صفوة من يستطيعون حمل السلاح من أهل البلد ولسوف يجند هو أيضاً بضع مئات من العسكر. ولقد خصصنا آلات

١- الخريت هو الدليل الحاذق بالدلالة علي الطريق. انظر، مجمع اللغة العربية : المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم. ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

٢- هكذا في الأصل ولعلها (لايقاً).

٣- جمع أوطية ، ولعلها (أوط).

٤- ابن الأمير بشير الشهابي.

٥- هو الشيخ حسين عبد الهادي، حاكم نابلس ، وكان موالياً لمحمد علي.

نارية من مدافع التلمبرنة والأهوس والجرجة^(١) وسنرسل إلي طرابلس عن طريق البحر مقداراً آخر من الفشنكات والبارود وقذائف المدافع في أيام معدودة. وقصاري القول أنه لما كان لدينا قوة عظيمة بطرابلس فلو فرضنا أن العدو أتوا علي طرابلس فإن الجنود الذين بها لمقتدرون علي لقيانهم وعلي الدفاع عنها. ولو فرض أنهم لا يستطيعون تديد شمل العدو فإن دأبوا ولو علي صيانة القلعة وحفظها فيمل العدو ويسأموا من طول المقام متقيدين بتعبود الحصار ونستطيع إذا أن نفتحهم علي بكرة أبيهم^(٢) زاحفين عليهم بإتباع الطريق الواقع علي سفح جبال الدروز الشرقي أو بسلوك هذا الطريق والطريق الواقع علي طول ساحل البحر ، لنضرب مثلاً أن والي حلب زحف علي جسر بنات يعقوب عن طريق حماه وحمص وعثمان باشا معسكر عند طرابلس وزحف والي الشام المؤقت علي جسر المجامع أوسارا^(٣) جميعاً علي أحد هذين الجسرين فقد علمنا من التجارب التي قمنا بها خاصة في كم ساعة يستطيع العسكر أن يقوموا من ههنا ويبلغوا كلا من الجسرين المذكورين أو يصلوا إلي طرابلس ، فنحن مطمئنون من جهة حراسة طرابلس إذ نعلم بقيناً إنها تستطيع المقاومة نحو ثلاثين يوماً . وقد رأينا بعد تفكير ومشارة أنه يمكن الزحف علي العدو المفروض ظهورهم من جهة الشرق وتزيقهم ثم مطاردتهم لغاية حماه وحمص وتشتيتهم جميعاً وتزيقهم كل ممزق كما يمكن الزحف عن طريق حمص علي الأعداء المفروض قيامهم بحصار طرابلس وتطويقهم من ورائهم ومن أحد جانبيهم وإهلاكهم جميعاً وأننا نستطيع مقاومة الأسطول العثماني من جانب البر لو جاء خلصة وألقي مراسيه أمام حيفا وصور وصيدا وبيروت وطرابلس ، أي أننا لاحظنا بالتدبير وأخذ الحيلة في أشد المصاعب التي تواجهنا في هذه الأمور واتخذنا التدابير وأعددتنا وسائل مقابلتها . من

١- التلمبرنة والأهوس والجرجة أو الشرخة : أنواع من المدافع .

٢- هكذا في الأصل ولعلها (عن بكرة أبيهم) .

٣- هكذا في الأصل لعلها (ساروا) .

أجل ذلك قد استحسننا الآن أن نستمر ونقدم علي الحصار الذي نحن ضاربوه وأن نستحوذ علي الجنود ونجعلهم مستعدين ولا نرهقهم بدون جدوي وأن نترصد ونزقب كل فرصة قالتزمنا هذه الخطة وقررنا ، إذا زحفوا علينا عن طريق البر ، أن نهزمهم ثم لا ندعهم بل تتبع اديارهم ونقتفيهم حتي نبلغ داخلية الأناضول فليطمئن قلبكم ولا يضيقن من هذا الخصوص ولا تدعوا للحزن والقلق سبيلاً إلي صدر دولتكم وهذا ما نرجوه من لطفكم وكرمكم ، ولما كان من لوازم الحال بهذه الملابس (...١) أسباب حراسة السواحل المصرية نفسها كما ينبغي ، فيجب وضع إشارات سريعاً وعاجلاً بين الإسكندرية ودمياط عن طريق برلس وكذلك بين الاسكندرية وبرز العرب والاطلاع علي أحوال تلك الدبار في بضع دقائق بإعانة^(٢) هذه الاشارات واتخاذ التدابير اللازمة بموجب هذا الاطلاع ، وقد كانت أعدت مثل هذه الإشارات وتدب لها موظفون من قبل فلم يبق إلا إنشاء قواعد لها وتركيب الإشارات عليها وتشغيلها باستخدام موظفيها . فإن لم يكن والحالة هذه إنشاء قواعد لهذه الاشارات فينبغي ركز العدد الكافي من السواري الطويلة في المواضع اللازمة واستعمال الاشارات البحرية ويجب أن يعطي كل من الجنود المشاة الذين ينتدبون لحراسة السواحل المصرية كيس مترس^(٣) وجاروف . فإن هم العذر فرضا بإنزال جنوده إلي البر فليجتنب جنودنا الجهاديون التجمع والمراطة علي ساحل البحر مصطفىين وليأخذوا حذرهم وليقفوا علي بعد قليل من شاطئ البحر وليملأوا تلك الأكياس وليضعوا بعضها فوق بعض وليحضروا ما وراءها فيقذفوا الرمل أو التراب إلي جهتها الأمامية ويحدثوا بذلك مترس علي جناح السرعة وليقفوا وراء هذا المترس وليقوموا بأمر الدفاع وما

١- يياض في الأصل ، ولعلها (تهيئة) .

٢- هكذا في الأصل ، ولعلها (بمعاونة) .

٣- هكذا في الأصل ، وصححتها (كيس مترس) ، والمتراس ما يوضع في طريق العدو لمعرفته .
جمعها متاريس . أنظر : المعجم الوجيز .

ينبغي أن يعمل أن نطلق المدافع الموجودة هناك علي صنادل العدو وشالوباتهم (سفائن صغيرة ذوات ساريين كما في القاموس التركي Chaloup) قذائفها فحسب . ثم قذائف وصالقما (عناقيد) كلما دنت من الساحل وأن تقذف هذه الطلقات في صمت بليغ^(١) . حتي إذا اقتربوا من مرمي الرصاص جد الجنود في الدفاع باطلاق المدافع ورصاص البنادق من وراء المترس في وقت واحد . وإذا روي بادئ الأمر أن العدو أكثر عددا أي إذا شوهد أنهم سيخرجون كثيرا من الجنود إلي الموضع الذي يقل فيه جنودنا فليتحذروا من حولهم حصناً من فورهم في مكان مرافق بإعانة الأكياس والحجارة التي لديهم وليبذلوا همهم في الحراسة والدفاع برسوخ وثبات حتي يصل إليهم المدد ويجب أن يوصي كبارؤهم في بادئ الأمر بأجراء ذلك . ونأمل من هممكم العالية أن تتكرموا بإيجاد عدد كافٍ من القوارب من نوعي (العقبة) و (الجريم)^(٢) . بين المعطف ورشيد وفي مياه برلس^(٣) وفي بحر دمياط^(٤) وأعداد المهجمات اللازمة لاتخاذها جسورا (كباري) علي النيل حذاء الطريق المشتركة يمر عليها الجنود والمهجمات عند الحاجة أو تتخذ (معديات) علي الأقل . وما ينبغي أن يعمل أن تنصبوا كولونيلا مدفعية علي أرط المدفعية التي ستندب إلي الاسكندرية ودمياط وأن يلازمه أميرالاي المدفعية علي الدوام وأن تكرموا الكولونيل المذكور وتعطفوا عليه بمنحة النيشان والكسوة الخاصين بأمرالاي ، وإن تنشئوا يردا^(٥) خيالة بين الاسكندرية ودمياط تسهيلا لنقل هؤلاء الرجال بسرعة إلي الجهات التي يهغون بلوغها كلما دعت الحاجة وإن تكشف وتستطلع جهات الاسكندرية وبرلس ودمياط

١- هكذا في الأصل ولعل صحتها (أن تقذف هذه المدافع في صمت بليغ) .

٢- العقبة والجريم مراكب نيلية.

٣- المقصود بحيرة البرلس .

٤- هكذا في الأصل ولعل صحتها (نيل دمياط أو فرع دمياط) .

٥- هكذا في الأصل ولعلها (يريد) .

بإشراف الكولونيل الموماً إليه ^(١) فتعبد وتبرأ ^(٢) الطرق من أجل المدافع وأن تعد الشالويات الجارية في بحري رشيد ودمياط ويجب كذلك اعداد شالويتين أو اثنتين من صنادل البحارة في بحيرة (إيت كوي) ^(٣) بأن تكونا حاضرتين . ولقد فصل محمد باشا المقيم بالنصورة وارسل إلي مصر إلا أنه رجل شجاع تشط في العمل . فإن تكونوا مرتابين منه فإن ولدكم أحمد باشا مقيم برشيد قاستدعوه عند سموكم بالاسكندرية بعد أن تشملوه بعطفكم وعنايتكم بمنحه نياشين . وأما عبدكم أمير اللواء سليم بك المقيم بأبي قير فإنه رجل متصف بالغيرة والشجاعة وقد كنا قررنا مع كبار ضباط الجيش أن تقدم محضراً في التماس العفو عنه لو كنا قد انتهينا من قضاء (.....) ^(٤) . الديار وهو جدير بأن يخرج بوسيلة ما من أبي قير فيشمل بعطف سموكم باستخدامه بعد أن يمنح النيشان والكسوة الخاصين بامارة اللواء لأنه لا يوجد الآن لديكم أمير لواء قدير ، ولقد كنت أبلغت أعتابكم السامية وجوب جلب الآلي الثاني وحده من جزيرة كريت ولكن لما كان كلا الآلين المرابطين بها قويا فأرسلوا سفن القرصنة ^(٥) الراسية بالاسكندرية لنأتي بالآلي الثاني أولاً ثم بالآلي الحادي عشر فتوسي وبسرعة ممكنة فتتركوا الآلي الثاني بالاسكندرية وترسلوا الآلي الحادي عشر إلي دمياط . فإذا جاء هؤلاء فارسلوا الآلي التاسع عشر المرابط بالاسكندرية إلي برلس ونزلوا الآلي الرابع عشر من الآن إلي الإسكندرية .

١- هكذا في الأصل ولعل صحتها (المومي إليه) .

٢- هكذا في الأصل ولعل صحتها (تهد وتهياً) .

٣- المقصود بحيرة إدكو .

٤- بياض في الأصل ولعله (مهتتا بهتد) .

٥- لعل المقصود بها النقلات أو سفن نقل الجنود .

ولقد نزل آلايا فرسان إلي دمياط عملاً بالترتيب الذي تفضلتم باتخاذها كما انه سينزل آلايا الفرسان الآخرين إلي العطف فاتركوا آلاي فرسان الترك المرباط بالصعيد في بني سريف ونزلوا آلاي الخيالة الآخر إلي طنطا وتكرموا بانشاء آلايات فرسان أخري بفرض ضريبة الخيالة كما اقترحنا علي سمرقم من قبل ونرجوا أن ترسلوا نحو عشرة قناطير من قطران أرديج، أن كان يوجد منه عندكم ، لنستعمله في معالجة جربي الجنود الموجودين هنا وأن ترسلوا الذخائر ، غير القمح الذي وقف إرساله ، أكثر من القدر المخصص منها وأن ترسلوا خمسة آلاف قنطار من البقسماط ايأ كانت الحبوب التي صنع منه لتصرف للجنود السيارة . وكل هذا منوط بإرادتكم السامية والأمر لمولاي .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- عندما قدمت قوات عثمانية إلي الشام ، أمر محمد علي ابنه بملاقاتها ، لكن إبراهيم باشا فضل الانتهاء من مسألة عكا أولاً ليتفرغ بعدها للقوات العثمانية .
- ومع هذا فقد أرسل الخبراء لرسم خطة لحماية المناطق المشمولة « بالحماية الحديدية » واتخذ خطوات جادة لتحصين سواحل الشام لتقف في وجه الأسطول العثماني .
- إهتمام إبراهيم باشا الأول كان بمصر وتأمينها ، ومن ثم فقد اقترح علي والده - بتفاصيل دقيقة - وسائل هذا التأمين .
- شكوي إبراهيم باشا المتكررة من تأخر الامدادات التي يطلبها من مصر ، وهي شكوي لا يبررها تقاعس محمد علي ، وإقفا حماس ابنه إبراهيم .

وثيقة رقم (٢)

موضوع الوثيقة : محاولة والي حلب استمالة أمراء الشام للتأثير علي موقف القوات المصرية .
تاريخها : (بدون تاريخ) (١).

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٢ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥٩ .

من : سمو إبراهيم باشا السر عسكر .

إلى : الجناب العالي .

هذا ما يرفعه عبدكم ،

تلقيت أمركم الكريم الصادر في ٢٣ رمضان سنة ١٢٤٧ وقد جاء فيه أنكم اطلعتم علي التقرير العربي فعلمتم منه أن والي حلب ولي من لدنه متسلماً^(٢) علي قضاء اللاذقية وأن أصحاب المقاطعات وفدوا عليه وأنكم ترون أن أمثال هذه الوقايح قد تؤذي إلي حدوث مضرات عديدة فيجب توبيخ أولئك الأهليين وأصحاب المقاطعات والتنكيل بهم ليكونوا عبرة لغيرهم فيا مولاي إن المسألة لا تنحصر في توليه متسلم علي اللاذقية إذ أن عثمان باشا أيضاً قد قدم اللاذقية وطرابلس جميعاً فاحضرهم عنده كما ستعلمون ذلك عند الاطلاع علي التقارير التي قدمت حتي الان إلي أعتاب دولتكم المباركة فكتب كتباً إلي أنحاء البلاد وأكنافها ودعا أصحاب مقاطعات قضائي اللاذقية وطرابلس جميعاً فاحضرهم عنده كما أنه ولي متسلماً علي نفس طرابلس إلا أنه لم يتمكن من إرساله وهو (عثمان باشا) مقيم الان باللاذقية وقد ساق جنوداً إلي جبله وطرطوس أي حتي قبل طرابلس بمرحلة واحدة . ولما كان هو من جبال (مسيري) أصلاً فقد حرص تلك الديار أيضاً وأغراها واستمال مشايخها فقد وجب علينا أن

١- نرجح أن يكون تاريخ هذه الوثيقة آخر رمضان ١٢٤٧هـ / أول مارس سنة ١٨٣٢م.

٢- المتسلم هو الحاكم المدني وله سلطات واسعة.

نسير عليه من جهتنا (منهزمين)^(١) هو وجنوده ونقتلهم حتي يكونوا عبرة لغيرهم إلا أنه لما لم تكن مصلحة عكا قد انتهت وأنه يرجي أن تتم بعد نحو ثمانية أيام فقد كتبنا إليه أن دولتكم قد رفعتكم عريضة إلي الدولة العلية في شأن ولاية طرابلس واننا منتظرون ورود الأمر وأن لا تتعد المكان الذي تقيم فيه بل ارحل منه وتتح إلي جهة حلب ولا تتسبب في إشعال (نائرة)^(٢) الحرب . وقد اذعن فلم يجاوز اللاذقية إلي هذه الجهة بل استقر هو وجنوده حيث كانوا ولعله كتب تفصيل المسألة الي اسطنبول ولذلك عدلنا عن سوق الجنود بعد تفكير وتشاور . والذي حملنا علي ذلك هو لو أننا أرسلنا إلي تلك الديار جنودا عاجلا يمكننا أن نرسل معهم مؤثا تكفيهم نحو عشرة أيام ولكنهم لو رجعوا إلينا بعد بلوغهم تلك الديار وقضائهم مهمتهم لنزل الي اللاذقية جنود من حلب تارة أخرى قبل وصول الجنود الراجعين إلينا لبعث اللاذقية عنا وقربها من حلب . ولو أقام الجنود المرسلون من لدنا في قضاء اللاذقية لعانوا ضائقة شديدة من جهة المؤن ولو أرسلنا من الجنود عددا قليلاً فلا ريب أنه لا ينبغي أن تسكن عدداً قليلاً من الجنود في تلك الديار أي علي الحدود الواقعة علي هذه المسافة البعيدة فضلاً عن عدم مقدرتهم علي تبديد شمل العدو وقهرهم كما ينبغي . حتي إذا تمت مهمة عكا وانتهت في هذه الأونة ببركات هم دولتكم السامية زحفنا فوراً مع قوة كافية من العسكر علي المشار إليه ، لنقاتلنه ولنهزمه كما ينبغي ولنقتلهم ليكونوا عبرة للسائرين . والأمر فيه وفي كل حال لحضرة من له الأمر عند اطلاع دولتكم علي ما قدمنا .

الخاتم

سلام علي ابراهيم

١- هكذا في الأصل، ولعلها (نهزمه) .

٢- هكذا في الأصل، ولعلها (دائرة) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن والي حلب - سر عسكر بلاد الشام - بدأ يستميل بعض أمراء الشام إليه .
- ولأن هذا العمل يمكن أن يؤثر في موازين القوى ، فإن محمد علي يأمر ابنه أن يوبخ هؤلاء ، وأن يصل إلي هذا إلي درجة التنكيل بهم .
- ثقة إبراهيم باشا أن الاستيلاء علي عكا يمكن أن يسوي كل هذه المسائل .

وثيقة رقم (٣)

موضوع الوثيقة : موقف أمراء الشام من الصراع الدائر بين ظهرائهم.

تاريخها : (بدون تاريخ)^(١).

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٧٥ .

من : (٢)

إلى : (٣)

قدم يوم تاريخه حسن أغا مندوباً عن أحمد بك القائم بمهمة اشتراء الخيل بالشام وقد قيل في هذا الكتاب الذي أتى به من عند المشار إليه أن كل أمروشان سيفهم من مقالة الأغا المشار إليه الشفهية فقدمناه إلي الحضرة السامية . حتي إذا مثل بين يدي سموه ومثل قال إن سعاة الدولة لما أتوا بكتاب يقضي بتفويض - ولاية الشام إلي هذه علي باشا والي قونية اجتمع أغوات الشام وهم أمين أكيلاز محمد أغا ومحمد الجوريجي وعبد القادر أغا كلاهلي زاده وعلي أغا خزينة كاتبه زاده وحموده أغا الباكير والحاج رشيد يكن (ابن أخت أو أخ) شملي فعمدوا مجلساً مع أحمد بك وأوفدوني إلي هذه الجهة. وقد قالوا فيما بينهم نحن نريد مولانا ولي النعم ابراهيم باشا ولكننا (نعلم)^(٤) هل للمشار إليه رغبة فينا أم هو راغب عنا

١- المرجع أن يكون تاريخ الوثيقة أول ذي القعدة ١٢٤٧ هـ / الموافق أول أبريل ١٨٣٢ م .

٢- يرجع أن تكون من معسكر إبراهيم باشا .

٣- يرجع أن تكون مرسلة إلي محمد علي .

٤- هكذا في الأصل ولعلها (لا نعلم) .

فعلينا أن نعرف حقيقة الأمر ثم نعمل بمقتضاها فإن كان يبتغينا فإننا نرفض ذلك الباشا المزمع قدومه . واتفقوا ، كلهم علي ذلك إلا أنهم ينتظرون صدور كلمة قاطعة من مولانا . وأن شمدين أغا لمعهم إلا أنه يخشي مولانا (شيءاً) ^(١) قليلاً فالتص من أحمد بك استصدار كتاب أمان من مولانا ووعدده أحمد بك ذلك . فأجابه الجناب العالي ^(٢) بما يأتي : بلغ الأغوات سلامي وقل لهم إني علي شاكلتهم وإني معهم . فليكونوا مطمئنين آمنين وليشايروا علي أعمالهم وسيأتي حضرة عباس باشا الجيش مع سوارى الجهادية بعد ستة أيام إن شاء الله تعالى فأرسله إليهم أو أرسل حضرة إبراهيم باشا يكن ^(٣) وأرجو أن تنتهي مهمة عكا . بعد عشرة أيام بحول الله تعالى وقوته وسأتي بنفسى بعد أن تنتهي غير أنه لا ينبغي لهم أن يفشوا الآن خير اتفاقي معهم . وليس لأحد أن يطلع علي هذا الشأن حتي يولي أحد الباشوات علي الشام ونأتيها . وإذا سألك عن أخبار هذا الجانب فأننا لا نشرع في ضرب عكا . لأننا مشغولون بنقل المهمات والجبهانات وإنشاء المتارس والطواهي منذ حشرنا الجيش أمام عكا . ولقد بلغت متارسنا الآن مسافة نصف منزل الرصاص من عكا . وستكون خمس عشرة من () ^(٤) جاهزة متأهبة هذه الليلة مع مهماتها وجيخانتها فنتمكن صباح غد من إطلاق النيران علي عكا . من خمسة عشر هاوفا . ولنا فشركات مبتكرة صنعت من الأجزاء النارية

١- هكذا في الأصل ، ولعلها (شيئاً) .

٢- لفظ الجناب العالي كان يقصد به دائماً في المراسلات محمد علي ، لكن المقصود به هنا ابنه إبراهيم .

٣- تعبر عنه المراجع الفرنسية بإبراهيم باشا الصغير . تمييزاً له عن إبراهيم باشا بن محمد علي ، وهو الذي قاد القوات البرية التي اتجهت إلي الشام ، بينما انتقل إبراهيم باشا (بن محمد علي) بحراً ، أنظر ، الرامي : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

٤- بياض في الأصل ، ولعله (مدافعنا) .

فلم يتم صفها واعدادها ولا مهمات الثلاثين مدفع الحصار الكبيرة التي لدينا حتي إذا تمت في بضع أيام فتشرع تلك المدافع والفشركات في ضرب عكا من جهة البر والسفن من جهة البحر فتؤدي إلي خراب قلعة عكا لغاية عشرة أيام بحوله تعالى. قل لهم هذا وخذ أنت اذارتك اليوم وارحل وكتب كتاب ذكر فيه وصول عريضة أحمد بك وحسن أغا المشار إليه وقيل فيه أن أخبار هذه الديار ستعلم من مقالة حسن أغا المذكور . وكتب كتاب آخر إلي شمدين أغا نسخت صورته فيما يأتي .

صورة الكتاب

لقد عجبنا اذ لم يأتنا كتاب (معكم) ^(١) ، منذ قدمنا هذه الديار ، يتضمن تقديم السواء أو يحتوي أنباء هذه الديار نعم لم يسبق لنا صحة معكم ولكن افلا تسمعون عنا شيئاً . ولقد سألنا علي أغا عن ذلك عند قدومه هذه المرة فقال لنا إنكم دائبون علي مصادقتنا والاخلاص لنا الا أنكم تخشون بأسنا فعجبنا من ذلك غاية العجب . فإذا بلغكم كتابنا هذا فاخرجوا ذلك الوسواس من قلوبكم ولا تقطعوا عنا مراسلاتكم .

١- هكذا في الأصل ولعلها (منكم) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- مثلما أعلن بعض أمراء الشام ولاهم للدولة العثمانية ، فقد أوفد البعض الآخر من أمراء الشام الموالين لمحمد علي مندوبين عنهم ليتحسسوا الموقف الحربي حول عكا حتي يحقدوا ولائهم
- وإذا كان إبراهيم باشا قد ظمأنهم بأنه علي « شاكلتهم » فإن الموقف الحربي كان لا يزال غامضاً . فهو حتي تلك اللحظة كان في مرحلة التجهيز ، ولم يكن قد شرع بعد في ضرب أسوار عكا ، وعليه فقد أسرف في شرح الموقف حول أسوار عكا ، وفي الوعود مؤملاً - وإياهم - أن تنتهي المسألة في عشرة أيام لا أكثر .
- وإقماماً للفائدة فقد أرسل كتباً مع هؤلاء المندوبين ليضمن ولاء الأمراء ويهدئ من روعهم .

وثيقة رقم (٤)

موضوع الوثيقة : مرسوم من والي حلب - سر عسكر بلاد الشام - يحذر من متابعة أهل الشام لمحمد علي .

تاريخها : ١١ ذي القعدة ١٢٤٧هـ^(١).

مصدرها : محافظ عابدين: محافظة رقم ٢٣٣ ، صورة الوثيقة العربية رقم ٣/٢٧ .

صورة مرسوم والي حلب عمومي الخطاب إلي أهالي حمص .

إنه معلومكم بالحالة هذه ليس لنا ولا لكم ولا لأهالي هذه الاقطار المحروسة من دولة تطاع وسلطان يتبع سوي هذه الدولة العثمانية أيدها وأبدها رب البرية فالواجب علي كل مسلم إطاعة سلطانه والاستظلال بظلال أمانه - وفرض علي كل من يعد نفسه من أهل الاسلام ويكون مقتضياً بشريعة سيد الأمام لم تحدثه نفسه في الخروج عن الطاعة والأتقياد ولا يقبل متابعة أهل البغي والفساد ولا يبيع دينه بدنياه ولا يتبع بذلك غيه وهواه بل يقاتل دون عرضه ودينه لا يقبل قول العذول عن العذول عن إطاعة الدولة السلطانية ولو كان فيها حتف نفسه ووقوع حيفه فبناءً علي ذلك أنتم أيها المخاطبون المومي اليهم واجب لعهد ديانتكم وإسلاميتكم عدم الأصفاء لأباطيل الباغيين وإياكم ومتابعة الخارجين الطاغين ونحن بحوله تعالى وقوته يوم الخميس المبارك ننزل بأوردينا^(٢) المنصور الي حماة وصحبنا من العساكر المخفورة والجنود العديدة المنصورة ما تقهر الاعدي^(٣) صولتها وتدمر المخالفين سطوتها ومن

١- الموافق ١٢ أبريل ١٨٣٢م.

٢- المقصود جيشنا .

٣- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (الأعداء) أو (الاعادي) .

جيش ظلال السدة العلية الخاقاية^(١) من أبواب اسكدار^(٢) إلي هذه الاطراف لا تزال برأ
وبحرأ ثانياً العساكر فوجاً فوجاً والمدافع المهولة واللات الحرب من كل جانب لا برحت ترد علينا
ومن (ورائنا)^(٣) قوات الظهر مقدار أربعين ألف من عساكر المنصورة المحمدية وإلي الآن قد
دخلت حدود أنطاكية واللاذقية والسطوة السنية السلطانية (قد ملأت) قد ملأت^(٤) البر
والبحر وعمت السهل والوعر فالذي يستقيم علي جادة الانقياد ولا يعدل عن طريق الرشاد
فينال الأمن والسلامة والذي يتبع أقاويل المخالفين ويصغي لأقوال الباغين يحل به عن قريب
النكال والثبور ولا تنفعه فيما بعد ذلك (الندامة)^(٥) فلا يهولكم خداعة هز لاي الاقوام فكل
منهم قريباً يجازي بسوء فعله ولا يحقق المكر السيئ إلا بأهله فسوف كل باغ يصير مظهرأ
للحسام البتر^(٦) وعلي البساغي تدور الدواير فلأجل النصيح والانتذار من ديوان حلب ورقة
ومقام سر عسكرية الأقطار العربية ومرحلة خان شيخون حررنا المرسوم وأصدرنا .

١- هكذا في الأصل ، ولعلها (الخاقانية) ومعناها السلطانية .

٢- ابواب اسكدار ضاحية من ضواحي اسطنبول .

٣- هكذا في الأصل ولعل صحتها (ومن ورائنا) .

٤- مكروة في الأصل .

٥- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (الندامة) .

٦- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (الباتر).

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن الدولة العثمانية وهي تدرك ضعف موقفها ، قد ركزت علي اتجاهين:

الأول : التأثير علي العامل الديني بوجوب طاعة (خليفة المسلمين)

والثاني : بيان قوة السدة العلية السلطانية والتي سيرت العساكر أفواجاً .. أفواجاً ... إلخ .

وثيقة رقم (٥)

موضوع الوثيقة : خطة الدولة العثمانية لطرد محمد علي من الشام مع صعوبة ذلك بسبب نقص الإمدادات وقتل أهل الشام .

تاريخها : (بدون تاريخ)^(١) .

مصدرها : محافظ عابدين: محفظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣/٢٧ .

من : ^(٢)

إلى : ^(٣)

تلقيت أمر دولتكم السامي بكل تعظيم وأحطت بمضمره الكريم وقد ذكرت فيه أن عريضتي التي سبق أن قدمتها إلي أعتابكم السامية حاكياً فيها إلي مغادرة حلب في غرة شهر ذي القعدة وذاكراً أموراً أخرى كما أن دولتكم أخبرتموني فيه أن دخول العساكر المنصورة المحمدية في ميدان القتال لا يكون سالماً من المحذور ما لم يجدوا لأنفسهم قوة مظهرة إلا أنه - يجب الزحف علي قلعة عكا لوقوعها تحت الضغط مع إحالة أنظار ()^(٤) والتبصر أماماً وخلفاً يميناً ويساراً وأن حصار قلعة عكا سيعتريه فتور كلما تقدمت جنود الدولة العلية بحول الله تعالى وأنه قد تقرر إرسال قدر كبير من الذخائر مع الأسطول الهسايوني^(٥) غير

١- هذه الرسالة بعد معركة الزواغة ، أي بعد ١٣ ذي القعدة ١٢٤٧ هـ الموافق ١٤ أبريل ١٨٣٢ م .

٢- محمد علي باشا سرعسكر بلاد الشام .

٣- الباب العالي .

٤- بياض في الأصل ، ولعلها (الاحتمام) .

٥- هيايون لفظة فارسية الأصل ، ومعناها اللغوي مبارك أو حسن الحظ أو مقدس .

الذخائر التي تكرمتم بترتيبها سابقاً غير أن الذخاير المرتبة سترسل إلي ميناء السويدية بعد أن يصل العساكر المنصورين الي أنطاكية قادمين من (قوتيه) وأن علينا أن نبادر بأشعاركم بالمواني التي يجب إرسال الذخاير اللازمة إليها كلما تقدم الجنود المشار اليهم بعون الله تعالى وأن الفشنكات^(١) التي التمسنا إرسالها سترسل وأن علينا أن نحفظ الجيخانات^(٢) والذخائر المرتبة من أجل انطاكية وانه قد صدرت الأوامر السامية بترتيب أغنام من جهات الشام وحلب وأن دولتكم أصدرتم الي عبيدكم الأغا محصل قبرص أحر كم السامي في إرسال الذخائر وأمرأ علي حده في إرسال الملححات . وقد غادرت حلب في أول ذي القعدة كما بينت ذلك في عريضتي التي اطلعتم عليها قبل الآن ولما كانت سائر الصنوف العسكرية لا تصلح لعمل في نفس الامر مالم تؤيد وتظاهر بالعساكر المنصورة المحمدية سبق أن رفعت إلي أعتاب دولتكم التماسا بأن تتكرموا فتعززوا (معية)^(٣) بقوة من الجنود المنصورة، فتفضلتم بوعده إرسالهم جملة واحدة فمكثت في حلب منتظراً قدومهم وكنت عاملاً علي تنظيم اللوازم واستمالة الضواحي وإيمانهم^(٤) . وإذ أنا دائب علي هذه الأعمال قام الخونة المصريون بهذه الافعال غير المرضية فتكرمتم لذلك بتفويض مهمة السرعة عسكرية العظيمة إلي عهدة خادمكم هذا وكان أهل بر الشام يعلمون أنني متدب لدفع إبراهيم باشا وتبديد جمعه وكانوا يرتقبون حركتي وأعمالهم ولكنهم لم يكونوا ليدعوا التفكير في العواقب فهم يرسلون إلي ابراهيم باشا فتبين أنهم يريدون أن يوهنوا الطرفين حتي إذا هجئت الغلبة والنصر في أحد الجانبين انضموا الي الجهة

١- الذخائر .

٢- سبق التعرف بها .

٣- هكذا في الأصل ولعلها (معيتي) .

٤- لعل المقصود التأثير عليهم بالعامل الديني.

الفائزة وقد سبق أن أنبأتكم أن عبدكم صاحب السعادة عثمان باشا بكلكريك^(١) طرابلس وقد غرته الانبياء القائلة أن إبراهيم باشا لآت فاتح وهمه وترك الخيم منصوبة وطلب النجاة بانتقاله إلي جانب حما فكان عمله هذا مشجعاً للخصم وازداد الأهلون الذين يرتقبون الفوز في أحد الفريقين ميلاً وخضوعاً لجانب مصر وقد فعل هذا دون أن يتفقد حقيقة إبراهيم باشا ويتحري قوته . وقد أوشك بعمله هذا أن يثير الهياج بين جيش حما . ولما تبين هذا من أحوال المشار إليه وكان أهل إيالة الشام منتظرين نتيجة الفوز والظفر وعلمت من تسليم أهل حمص إلي إبراهيم باشا بدون قتال أنه لا يمكن لأحد أن يقابله ويقاومه إذا لم أخرج من حلب فخرجت بناءً علي هذه الضرورة وصفوة القول أنا انتزعنا حمص من أيدي المخالفين مرة أخرى^(٢) فظلمت ماكشاً في حمص وذهب إبراهيم باشا إلي بعلبك وتحصن فيها وجاء عباس باشا قرية زحلة الواقعة بجوار بعلبك ليمد الباشا المشار إليه فاصطفيت من بين الجنود الذين معي نحو عشرة آلاف جندي ممتاز ومجرب وأرسلتهم تحت سيادة كتحدا^(٣) عبدكم هذا بعد أن تركوا أثقالهم بحمص فساروا مشاة وركبانا إلي بلدة القصير الواقعة قريباً من بعلبك وعززناهم بأربعة مدافع ولا نألو جهداً من إرسال كتب إلي جبل الدروز والبلاد الأخرى في تألف أهلها واستمالتهم غير أن إبراهيم باشا ظل أيضاً يرسل أوراقاً في إذاعة أنواع الأراجيف . (ولقد منا)^(٤) إلي أعتاب دولتكم ببورلديه^(٥) الذي أرسله إلي حمص لا طلاعكم عليه . وكانت مفادرتي حلب وسفري

١- سبق التعريف بها .

٢- الحقيقة أن إبراهيم باشا ترك حمص ليعتصرق قواته في زحلة وبعلبك مكونة خط دفاع أول - تاركاً معها عباس باشا حفيد محمد علي وسليمان بك الفرنساوي - بينما اتجه هو إلي عكا لمتابعة حضارها وفتحها .

٣- الكتحدا هو الوكيل .

٤- هكذا في الأصل ولعلها (ولقد قمنا) .

٥- المكاتبه أو الخطاب .

الي حمص مبنيا علي هذه القضية . ولو أنني عززت ببضع طوابير من العساكر المحمدية والأسطول الهمايوني إجابة لطربي السابق فأرسل كل ذلك إلي ساحة عكا أو الي معية عبدكم هذا لاورثني ذلك فخاراً عظيماً كما أنه لو كان الجيش الهمايوني قوة الظهر من خلفنا لضحت برأسي وحياتي اللذين وقفتها علي خدمة الدين والدولة منذ توليتي رتبة الوزارة ولاجتهدت في إثبات مدعي الصداقة والغيرة بلطف وبني وعنايته وتأثير أنفاس مولانا صاحب الشوكة وبركاتها سائلاً الألفاف الإلهية معونتها في تشتيت شمل المخالفين . وأن عبدكم هذا المعلوم منذ حادثة سني من زمرة الوزرا - المعظام الذين ثبت صدقهم واستقامتهم لدي الدولة العلية وقد مكثت كثيراً في خدمتها ووقفت (عمر وطايتي)^(١) في تحصيل الرضاء السامي . ولا ثبثت في أظهار الغيرة والصداقة جهد طاقتي . أما الهفوات التي تقع مني غفلة فأرجوا أن تقابل بالعرف والصنع وان تسجلوني في قائمة عبيدكم الاصدقاء وتشملوني بمجانس أنظاركم تسهيلاً للقيام بمهمتي .

١- هكذا في الأصل ولعلها (ووقفت عمري وطاقتي) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- يوضح خطاب سر عسكر بلاد الشام خطة الدولة العثمانية بإنقاذ حملة برية إلي بلاد الشام لفك الحصار

من عكا وطرده محمد علي من بلاد الشام .

- لكن القائد العام يشكو من عدم إمداده بالعساكر أو المؤن والذخيرة .

- أهل الشام - من وجهة نظر السرعسكر - متقلبون ، وأنه يبذل جهده لئلا يسلمهم إلي الدولة العثمانية .

- تنفيذ الوثيقة أيضاً أن العثمانيين استردوا حمص بعدما تركها إبراهيم باشا لكي يلحق بقواته المحاصرة

لعكا ، والتي تعرضت لضغط من قوات عبدالله باشا الجزائر .

وثيقة رقم (٦)

موضوع الوثيقة : تنظيم قوات إبراهيم باشا في بلاد الشام .

تاريخها : ١٨ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ ^(١)

مصدرها : وثائق عابدين : محفوظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٧٩ .

من ^(٢) :

إلى ^(٣) :

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي بدون من .

سبق أن كنت لدمت إلي أعتابكم السنية عريضة بينت منها كيف أن الحالة تقضي ببقائنا في زحله بسبب عدم كفاءة عبدكم الباشا الحفيد (يقصد الأمير عباس) لإدارة جيش زحله وإشاعة وصول جنود المخالفين إلي بعلبك وحدث ما وقع من سليمان بك ^(٤) من التصرفات السيئة . وقد تفضلتم في ردكم العالي علي عريضتي هذه فوافقتم علي رأيي العاجز حيث قلتم وإذا وفقنا لفتح عكا تتقوي مصلحتنا الخيرية وإن تأخر فتحها فليس في ذلك مدخر وأما إذا وجد جنود المخالفين فرجة يتنفذون منها - لا قدر الله - فتسوء الحالة من كل جهة .»

واني وقد فهمت مغزي عبارتكم القيمة هذه فأقول : مولاي كنت وأيت رأيي السابق شرحه وعرضته علي أعتابكم السنية حسب الظروف السائدة في ذلك الوقت إلا أنني لما انتهت

١- الموافق ١٩ مايو ١٨٣٢م.

٢- إبراهيم باشا .

٣- محمد علي .

٤- هو سليمان بك (باشا فيبا بعدد) الفرتسواي أو (الكولونيل سيف) .

مسألة الدروز وقتئذ علي خير مايرام وكان الآلاي العاشر والآلاي الحادي عشر والآلاي الثاني عشر والآلاي الثامن عشر والآلاي الغارديا والآيا السواري والستمانية فارس العربية واضعاف جنود العدو المراقبة فسي حمص وهو الذي جعلهم لا يستطيعون التحرك نحو بعلبك. وكانت المسافة بين عكا وزحله تقطع في مرحلتين بسير سريع بحيث اذا وقعت من جانب العدو أي حركة يمكننا أن نركب فنلحق بهم في الحال، لذلك كله قد أصدرت إلي عبدكم عباس باشا وسليمان بك التعليمات التي يعملان وفقا لها وقصدت أنا إلي عكا كما عرضت ذلك علي أعتابكم قبل أيام فليس هناك اذن ما يدعو إلي التفكير والاتزعاج من جهة المخالفين بفضل ربي ونصره فأنني قد نظمت البريد من صحراء عكا إلي زحله ومنها إلي حمص فيعمل بانتظام ونتلقي الأخبار في كل حين فإذا فرض ووقعت أي حركة من جانب العدو فيمكننا ان نلحق بهم في يوم ونصف اليوم وإن كنا قطعنا في مجيئها من زحله إلي عكا يومين . والتمس مولاي أن يطمئن من هذه الناحية ليس هناك من شك في قهر هؤلاء وهزيمتهم فإذا قدم سردارهم حسين باشا ^(١) إلي الجهات المذكورة سنذيقه طعم سيفكم الحديوي البتار فيكون نصيبه أيضاً الهزيمة « وما النصر إلا من عند الله » وإنني قد عرضت الحالة علي أعتابكم السنية آملاً التفضل بالإطلاع عليها والأمر بعد ذلك مفوض إلي رب الأمر .

الحقنم

سلام علي إبراهيم

١- سر عسكر الجيش العثماني كله .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- خوف محمد علي من نزول قوات عثمانية في الوقت الذي لم ينته فيه إبراهيم باشا من فتح عكا « فتسوء الحالة من كل جهة » .

- لكن إبراهيم باشا يطمئن والده بأنه وضع قوات شمال عكا لتكون حاجزاً بينها وبين الجيش العثماني القادم من الشمال أثناء فتحه لعكا ، وحتى إذا حدث وجاء هذا الجيش فإنه سترك قوات لتأخذه حصار عكا ، ويتحرك هو شمالاً لملاقاة هذا الجيش .

وثيقة رقم (٧)

موضوع الوثيقة : ارسال أمراء الشام مندوبين عنهم لتحسس الموقف العام حول عكا ، وموقف ابراهيم باشا منهم .

تاريخها : ٢٤ ذي الحجة ١٢٤٧ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفوظة رقم ٢٣٤ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٠٥)
المستخرجة عن جرنال (٢) يوم الخميس ٢٤ ذي القعدة ١٢٤٧ هـ .

من (٣) :

إلى (٤) :

بعد يومين من تشريف مولانا ولي النعم السر عسكر الأقخم معسكر عكا اجتمع لدي دولة المير لواء سليم بك (٥) ومنيب أمف كاتب ديوانه وعبدكم حنا (٦) مدار الحديث حول مدينة الشام فانها اذا تركت وشأنها وظل واليها يقيم بها لا يخلو من إثارة الفتنة والفساد في الجهات

١- الموافق ٢٥ مايو ١٨٣٢ م .

٢- جرنال تعني بيان يومي بأعمال الهيئات المختلفة .

٣- معسكر ابراهيم باشا .

٤- الجناب العالي .

٥- هو سليم ساطع أمير لواء المنفعية المصرية في بلاد الشام - انظر عبد المنعم الجميبي : المرجع السابق ، ص ٦٧ .

٦- يوحنا أو حنا بحري ، مسيحي حمصي الأصل ، حضر الي مصر مع يوسف باشا كينج ، أعجب به محمد علي لمقدرته وكفاءته فقربه اليه واعتمد عليه ، وحصل علي رتبة أمير لواء انظر ، لطيفة محمد سالم : المرجع السابق ، ص ٢٥ ، والجميبي : المرجع السابق ، ص ٨٦ .

كما انها ستبقى ملجأ يأوي اليه العدو المنتظر مجيئه من الشمال وانه لما كانت إيالتها الشام وصيدا مشتركين في الحدود فليس من الصواب جعل العدو شريكاً لنا في الإيالتين وبناءً على هذه المقدمات بالبداية روي انه بعد فتح قلعة عكا وفتحها مؤمل من لطف الله تعالى عقب الهجوم الذي تقرر القيام به هذه المرة - يترك فيها حامية بمقدار كاف ثم يهجم علي الشام مع الجنود كلهم وقد استحسن الجميع هذا الرأي حتي انه اذا فرض وفشل الهجوم علي عكا يترك أيضاً مقدار كاف من الجنود لمواصلة حصارها ويهجم مع بقية الجنود علي الشام فتدخل في حوزة الحكومة المصرية ، ويخلص من مشكلة فتنة والي الشام ومتفقيه وبعد اتخاذ هذا القرار تقرر ايضاً ان يحرر من قبل مولانا السر عسكر كتاب خاص الي احمد بك المقيم بالشام يكلف فيه حضرته بابلاغ الفكرة المشار اليها الاغوات المقيمين الي باب دولة ولي النعم ويشعرنا بما يكون من ردهم بسرعة . هذا وقد كانت زعامة قرية فيق التابعة لإيالة الشام المتاخمة لإيالة صيدا في عهدة السيد عمر العمري من سكان الشام ولكن عبد الله باشا كان يستولي علي محصولاتها بدلاً منه في مقابل مال معلوم وقد اتفق ان جاء المعسكر في هذه الفترة الشيخ احمد اخو السيد عمر المذكور يرافقه خليل أغا خداويردي ارغلو من أعيان حي القيسيرية بالشام ملتحمين ضبط واحالة القرية المذكورة الي متصرفها السيد عمر حسب الزعامة (ونزولاً) ^(١) خيمة عبدكم حنا وابلغاه انهما وقدما للعرض المتقدم الذكر غير ان عبدكم حنا فهم ان مجيء الشيخ احمد يحتمل ان يكون لهذا الغرض بخلاف خليل أغا قليس من المعقول ان يكون قد حضر لهذا الغرض ولايد انه لمصلحة اخري وبعد ساعة اختلي بخليل اغا هذا فقال له قل لي المهمة التي قدمت من اجلها حقيقة اذ ليس من المعقول انك تأتي من الشام الي حد هنا لمجرد مرافقة الشيخ احمد في الطريق ولم يزل حتي حمله علي الاعتراف بأنه وان كان قدم في الظاهر لمرافقة الشيخ أحمد غير انه قدم في الحقيقة لمشاهدة حالة عكا وتعرف ما إذا كانت

لدينا نية الهجوم علي الشام او لا ؟ ثم الح عليه حنا بأن يعرف ايضاً هل هو حضر بايعاء من أحد الاغوات^(١) ؟ فقال : لم يرسلني أحد منهم غير ان احمد العماري زاده من اعيان حيفا رغبني في السفر فحضرت كما ان علي آغا خزينة كاتبني زادة^(٢) يعلم مجيبي . كل هذا ولم يزد عليه ولما عرضت اقواله علي اعتاب مولانا السر عسكر تفضل فدعاه الي حضرته فخطبة قائلاً لقد قررنا الهجوم علي قلعة عكا من اربعة مواضع والمأمول من الله تعالى فتحتها عقب هذا الهجوم علي اتنا سواء نجحتنا فيه أو فشلنا فسنهجم بعده علي الشام والسبب في هجومنا عليها هو ما تعلمه من سوء نية الدولة ووزرائها والجنود المربطة في حصص بصفة خاصة ازاء الشام ومن ولاء معظم الشاميين واخلاصهم لنا فنريد بهجومنا هذا حمايتهم وانقاذهم واذا كان الأمر كذلك فاذهب انت الان الي الشام وابلق اقوالنا هذه الاغوات المخلصين لنا فحيث ان هجومنا علي عكا يقع خلال ثلاثة أيام وتتحرك نحو الشام بعد خمسة ايام من الهجوم فلديك ثمانية أيام يجب ان تسافر وتعود خلال هذه الايام الثمانية وتعلن ظاهراً انك تأتي الي المعسكر بجمال وسيحرر من قبلنا كتاب الي الاغوات نذكر فيه ان سفرك لشراء الإبل مع الابصار بان يشقوا بالاقوال الشفهية التي تبلغهم عنا ، ولما تلقي خليل أنما هذه الاوامر والتعليمات قال ممثلاً^(٣) : الامر لمولانا وقعلاً قرر العودة الي الشام فحرر كتاب عربي علي النحو المشروح موجه الي رشيد آغا الشجلي زاده وعلي آغا خزينة كاتبني زادة وعبد القادر آغا ومصطفى آغا أورفه لي^(٤) اوغلو وعابيد عمر آغا وسلم الكتاب اليه فارسل الي حيث أمر كما

١- لفظة آغا في اللغة التركية تعني رتبة عسكرية لذا تطلق اللفظة علي العسكريين تمييزاً لهم عن المدنيين .

٢- خزينة كاتبني هي كاتب الخزينة .

٣- خزينة كاتبني هي كاتب الخزينة .

٤- هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (ممثلاً) .

أوفد دولة حسن اغا امين للمرحوم يوسف باشا كنج الي احمد بك امين النزل السابق لجيش المورة وحمله كتابا في هذا الصدد وها هي ذي صورته :

تضرب الان قلعة عكا ضربا شديداً باستمرار وبعد ثلاثة أيام سنهجم عليها متوكلين علي الله تعالى من أربعة مواضع حسب الخطة المرسومة ونؤمل من الله خير الناصرين ان يوفقنا لفتحها والاستيلاء عليها ثم ان الدولة بما تضرر نحر الشام من سوء النية تجعل جنودها تتسلل في بلاد الشام بمختلف الاسباب ومن المحقق لدينا انها تريد بذلك القضاء علي الأسر والعائلات الاصيلة فيها وبما اننا مرتبطون بالعنصر العربي بوشائج القرابة ويقرب الديار والمجاورة فيحتم علينا الواجب والمروءة ان نحمي تلكم الأسر والعائلات من جميع سكان الشام من غدرهم (اي العثمانيين) المألوف المستتر في ضمائرهم الخداعة دفاعاً عن عنصرتنا ومراعاة لحقوق الجيرة لذلك قررنا ان نهجم علي الشام بعد الهجوم علي عكا واذا علمتم ذلك فعليكم ان تقابلوا رشيد اغا وعلي اغا وعبيد القادر اغا ومصطفي اغا اورفه لي اوغلو وعابد عمر اغا وهم الاغوات الذين يدينون لنا بالولاء التام وتبلغوهم مضمون كتابنا هذا وتعلموا ما سيكون من موقفهم حينما نقصد الي هناك بجيشنا وتبلغونا ردودهم بسرعة هذا مطلوبنا منكم بصفة قطعية .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- رجوع ابراهيم باشا (ومستشاره) عن الفكرة السابقة بإنهاء مهمة عكا أولاً ثم التفرغ للقوات العثمانية القادمة من الشمال ، فهذا هو القرار ترك قوة قليلة لتابعة حصار عكا ، ويتحرك شمالاً لبلحق دمشق بالنفوذ المصري ، ولكن هذا الأمر يستلزم التأكد من موقف أمراء الشام ، ويكون « ودهم بسرعة » .
- ومن ناحية أمراء الشام فقد أرسلوا غيرتنا لهم لتحسس الموقف وتحديد الولا .
- ولعلم ابراهيم باشا بحيرتهم ، فقد قرر لأمراء الشام كتباً يؤكد فيها أنه مرتبط بالعنصر العربي ، وأنه معني بحمايته من الخطر العثماني .

وثيقة رقم (٨)

موضوع الوثيقة : خطة إبراهيم باشا لاحتلال حلب ، وتوضيح موقف أهلها إزاء القوات العثمانية والقوات المصرية.

تاريخها : ٢١ محرم ١٢٤٨ هـ^(١).

مصدرها : محافظ عابدين: محافظة رقم ٢٣٥، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥/١٣٨ .

من : السرعسكر إبراهيم باشا.

إلى : محمد علي باشا الكبير.

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي من غير من . علمت مضمون أمركم العالي المؤرخ ١٣ محرم المتضمن التدابير التي ترونها في سبيل الاستيلاء علي حلب بعد ما يتم الاستيلاء علي القطر الشامي والقضاء علي جيش حمص . الان وان تم لنا بفضل الله تعالي الاستيلاء علي الشام ووجب الهجوم علي جيش حمص والقضاء عليه ثم التوجه الي حلب غير أنه نظرا لوجوب اعداد الاستعدادات اللازمة لهذا الأمر من هنا فاتحت فيه عبدكم الميرلومات والمير الايين أثناء وجودهم عندي في مغرب أمس وشاورتهم فيما اذا كان من الصواب مواصلة الزحف الي حلب بعد الفراغ من حمص واذا كان صوابا فما هي الخطة التي يجب السير عليها واذا لم يكن صوابا فما هو المحذور الذي يبدو لهم ؟ وبعد كلام طويل افترقوا فريقين فريق ذهب إلي مواصلة الزحف إلي حلب بدون توقف بعد الفراغ من أمر حمص وفريق قال بعدم التقدم نحو الأمام والانتظار حتي يأتي الينا جيشهم باقدامهم . وفي صباح اليوم اجتمعت

١- الموافق ٢٠ يونيو ١٨٣٢ م .

(.....) (١) الأمير بشير (وتبادلته) (٢) الرأي في هذا الصدد (وقبلنا) (٣) الامر من جميع وجوهه واتفق إيانا علي الخطة التي أوردتها فيما يأتي :

تقوم من هنا ومعنا من المعدات ما يكفي لإيصالنا إلي حد حلب وبعد ما نضرب حصص ننظر إلي الحالة فإذا هزمنا العدو واستطعنا تفكيك عري جيشه تفكيكاً لا يرجي معه لم شعشهم (٤) فيما بعد لا نتركهم ونطارده إلي حد حلب وأما إذا لم نستطع ذلك بحيث يقدرين علي ان ينسحبوا انسحاباً منظماً فلا نتقدم إلي الامام فأنهم علي التقدير الثاني فيصمدون فيها ويجب علينا حينئذ محاصرة حلب وفي هذه الحالة إذا فرض وجاء جيشهم الذي في الراء نستهدف لخطر الوقوع في البين أعني أننا لا نستطيع ترك الحصار والهجوم علي جيشهم ولا نتخلي عن جيشهم إلي مواصلة الحصار . ولقد تم قرارنا علي هذا الرأي فسنقيم مدة خمسة أوسنة أيام أخرى نعد خلالها الجبال وسائر المعدات اللازمة وبعد اتمام هذه الأمور نقصد إلي وجهتنا .

مولاي تفضلتم وقلتم في أمركم العالي أن سكان حلب لا يكونون مهزومي حصص من دخول مدينتكم . ولكني أري أن هزيمة هؤلاء إذا كانت انسحاباً منظماً إلي الراء فلا يستطيع الحلبيون متعهم من الدخول بل يهرعون لا استقبالهم بالتعظيم والتوقير فان كثيراً ممن ينعمون بنعمتكم ، فضلاً عن سكان تلك الجهات مازالوا ينظرون إليهم بعين الاكبار ولا يتصورون انهم من قبيل لا شيء لقد كان الشاميون يظهرون لنا الولاء والاخلاص منذ أمد بعيد ومع ذلك لم يتغلبوا علي طابعهم ولم يرتاحوا حتي قاومونا مقاومة ملحمة وسافر الذين كانوا يتظاهرون

١- بياض في الأصل ، لعله (عيدكم) .

٢- هكلا في الأصل ولعلها (وتبادلنا) .

٣- هكلا في الأصل ولعلها (وقبلنا) .

٤- من الشمش ، وهو ما تفرق من الأمور ، أنظر ، المعجم الوجيز .

بالولاء لنا في معية الباشا (كذا في الأصل لعله يقصد والي الشام - المترجم) ولم يلحقوا بنا
 وخصراً لا يقبل عقلي فكرة الاستعانة علي الحجاز المصلحة بإرسال الكتب إلي مفتي حلب أو
 مفتي مرعش وذلك لأننا لم نتلفع في إنجاح حملة الشام بمثل هذه الأساليب وإنما حققنا ما
 حققناه بفضل السيف والسنان . والواقع كان في استطاعتنا أن نفرغ من أمر جيش حمص إلي
 الآن ولكن التقصير في هذا الصدد لم يقع من جانبنا فحسب فلمصر أيضاً نصيبها من هذا
 التقصير فكم من كتب وجهت حتي الآن أطلب إرسال فرسان العربان^(١) فلم يصلوا بعد وكم
 كتبت أطلب إرسال الطوبجية^(٢) فلم يصلوا بعد فيبدو من جانب مصر إهمال كثير جداً في هذه
 الآونة ونحن هنا نستطيع نقل آلاف الجنود إلي مسافة خمس وعشر محطات خلال أيام قليلة
 علي الرغم من بعد الشقة بيننا وبين مصر في حين أن مصر لم يرسل منها شزيمة من الفرسان
 البدويين طوال هذه المدة بدون ضرورة تبرر ذلك مع أن الحاجة إليهم في هذه الفترة أمس منها
 في أي وقت آخر ولذلك فأرسالهم بسرعة ممكنة لازم جداً ومهم للغاية . تتفضلون وتتحدثون
 في أمركم العالي عن النظام السائد في سفتنا ذلك النظام يدعو إلي الطمأنينة من جهة البحر
 في الواقع لا يمكن أن يلاحظ شيء علي النظام السائد في السفن ولم يكن جيش البحر أقل من
 أسطولنا في النظام ومع ذلك ما كنا نجزم بمهارتهم قبل تجريتهم تجربة فعلية وكذلك أسطولنا لم
 يجرب بعد فلا تصدر فيه حكماً قطعياً ، ثم تتفضلون وتشيرون علي بان أعفو عن ذنب «
 سريزي » مولاي إن العفو من حق السيد فالعبد لا يملك العفو ولا الإهانة ، فمولاي هو الذي
 يتولي تربية المذكور وينعم عليه وهو الذي يعفو عنه وإذا تفضلتم وعلمتم ذلك فالامر فيه إلي
 مولاي .

٢١ محرم سنة ١٢٤٨

الختام

سلام علي إبراهيم

١- يقصد البدو ، وقد سما في مكان آخر البدويين ، والفرسان البدويين .

٢- رجال المدفعية.

مولاي ولي نعمتي

وفقاً لإرادتكم السنية (سيحرر الكتب إلي مفتين)^(١٤) (وكتب هذه الحاشية للإفادة -
ذلك) (١٥).

الختم

سلام علي إبراهيم

١ - هكذا في الأصل وصحتها (ستحرر الكتب إلي المفتين) .

٢ - هكذا في الأصل وصحتها (وكتب هذه الحاشية للإفادة بذلك) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- اعتماد ابراهيم باشا علي أركان حربه كهيئة استشارية .

- بنامخطة احتلال حلب علي حالة الجيش العثماني بعد معركة حمص - وليس علي موقف أهلها ، فقي

حالة الاتسحاب المنظم لهذا الجيش لن يستطيع أهل حلب الوقوف أمامهم .. والعكس بالعكس.

- تأكيد ابراهيم باشا لوالده بأن أهل الشام متقلبون ، وأنهم يقفون دائماً مع الجانب المنتصر .

وثيقة رقم (٩)

موضوع الوثيقة : فرح محمد على بفتح دمشق، وأمره الى ابراهيم باشا بمواصلة فتح حماه وحمص حتى لا يعطى فرصة للجيش العثماني لجمع وترتيب الصفوف.

تاريخها : ٢٢ محرم ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٣ .

من : الجناب العالي محمد على باشا .

إلى : نجله السر عسكر ابراهيم باشا

حضرة صاحب الدولة والعطوفة والرأفة (والدى) ^(٢) ذو الهمم العلية فى ليلة الاربعاء الموافق الثانى والعشرين من محرم الحرام الجارى وصلت ورقتك المتضمنة بشرى فتح الشام (دمشق) فشممنا منها أريج الجنة فاهتزت لها القلوب والمشاعر وشمل رباها كل مكان ورفعت الى الله سبحانه وتعالى الذى من علينا بهذا الفتح آيات الحمد والشكر فبلغت عرشه العظيم. يا بنى سيق ان كتبت اليكم قبل أيام فى مواصلة زحفك الى حلب الشهباء عملا بفحوى المثل القائل : يطرق الحديد اذا بلغ قوامه من الحرارة الآن وقد آن الأوان وبلغ الحديد قوامه فاعمد الى هؤلاء الباشوات المرابطين فى حما وحمص واضف الى اسمائهم عنوان "الفارين" ايضا ثم واصل زحفك مستعيناً بالله حتى حلب التى هى الى الاقصى لآمالنا بدون مبالاة بقسوة الصيف وحره واستخدم محبوك ^(٣) فى أمالة الكرد وأورفة بما ترونه من الاساليب الملائمة للمصلحة إما

١- الموافق ٢١ يونيو ١٨٣٢ م.

٢- هكذا فى الأصل، وصحتها (والدى)

٣- محو بك من أوائل من أيدوا محمد على عندما صعد القلعة وولى حكم مصر، فأصبح من رجاله

بايفادة اليهم أو بانفاذ كتاب منه كما ابلغتم ذلك قبلا وارسل أيضا الى نجل حسن باشا المقيم بادنه ليوفى بعهدہ وانا حررنا كتابنا هذا مكتفيا فيه بالاشارة الوجيزة الى ما ذكرناه من الخطط. فانتا كتبناه أولا في نشوة من بشرى الفتح لم تزايلنا بعد وثانيا سبق ان ابلغتم هذه الامور بالتفصيل فلديكم وقوف تام وعلم شامل لجميع هذه الشئون. ليجعل الله تعالى نصره وتأييده حليفين لك ولن معك من ابطال نصرنا آمين.

الختم

محمد على

يستخلص من هذه الوثيقة :

- فرحة محمد على بفتح دمشق.

- الأسلوب الذي كان محمد على يصر عليه دائما وهو استمالة الحكام والزعماء قبل أى حركة يقوم بها.

- أن حلب - حتى الآن - كانت الحد "الأقصى" لآمال محمد على.

وثيقة رقم (١٠)

موضوع الوثيقة : استعداد إبراهيم باشا للاستيلاء على حلب.

تاريخها : ٢٨ محرم ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محافظة رقم ٢٣٥ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٥/١٨٠.

من : دولة السر عسكر إبراهيم باشا.

إلى : الجناب العالي محمد علي باشا الكبير.

مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي من غير من

ورد أمركم العالي المتضمن سرورككم القلبي الحاصل من بشرى استيلائنا على الشام ووصاياكم السامية بالقضاء على جيش حمص والزحف الى حلب وفقاً للمثل القائل : يطرق الحديد اذا بلغ قوامه من الحرارة وارادتكم الكرمة بايفاد محو بك إلى عشائر الكرد وجهات أورفة ومملت مضمونه الكريم.

مولاي منذ أن دخلنا الشام شرعنا في إعداد العدة لحملة حلب كما بسطته في عريضتي المرفوعة من قبل ولكننا الآن تؤلف جيشاً كبيراً أعنى أن جيوش الشام وطرابلس وزحله المؤلفة من سبعة الآيات بزيادة وستة إليات سوارى ستجتمع في صعيد واحد ويعلم مولاي الحديدي أن هذا العدد الكبير من الجند يحتاج إلى التسمين والمؤن يجب نقلها من الير والنقل البري ليس كالنقل البحري يضاف إلى ذلك أن الشاميين اعتادوا منذ سنين كثيرة نقل قواكل الحجاج ولم يسبق لهم أن خدموا جيشاً ضخماً كجيشنا. وخلاصة القول أنتى لست أخلو من بذل الجهود والعناية اللازمى البذل قبل صدور الأمر بدين، أن أخرج مولاي الى الحث والترغيب بحيث لا يغرب عن بالى فكرة العمل لعدم افلات الفرصة السانحة لطرق الحديد غير ان الحديد معنا

ليس له ميعاد يقوته باستمرار فهو خام ولست أدري هل الحديد بمصر موضوع فى الثلج فانه يتراعى الينا من شهرين أخبار تفيد أن اليدويين سيوافوننا اليوم أو غدا فلم يظهر منهم أى أثر حتى الان مع العلم بان الحاجة اليهم فى هذه الفترة أمس منها فى وقت آخر لعدم وصولهم حتى الآن هو أحد الأسباب التى أخرتنا بعض أيام. اليوم تلقيت كتابا من بريد مصر يقولون فيه أن الالايين البيادة اللذين تفضلتم وإيلفتم انهما على قيد الإيصال عن الطريق البحرى لم يغادرا مصر بعد وانى امتثالا لارادتكم السامية سأصحب محو بك وبعد وصولنا الى حلب أوفده الى أورفة واذا تفضل مرلاى واحاط علما بذلك فالامر فيه وفى الاحوال كلها الى من بيده الأمر.

الختم

سلامة على ابراهيم

ملحوظة المترجم : ملحق بالوثيقة الاصلية تسريدها ايضا ،

يستخلص من هذه الوثيقة :

- نظرا لأهمية حلب فقد أعد ابراهيم باشا عدته للاستيلاء عليها ووضوحاً لأمر والده فقد أرسل رجاله لاستمالة أمراء الشام قبل بدء المعارك.

- شكوى إبراهيم باشا (المتكررة) من تأخر الإمدادات من مصر.

وثيقة رقم (١١)

موضوع الوثيقة : وصف لبعض ما دار في معركة حمص .

تاريخها : ٩ صفر ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الإفادة رقم ٥٢ .

من : محمد بك [سرهاين أركان عالي] ختمه رب وفق أمور محمد .

إلى :

حضرة صاحب العطفة والرافة أخى الأعز الأكرم .

سبق أن كتبت لعطوفتكم أنني وصلت إلي ولي النعم دولة السر عسكر وبعد ما قمت بالأمورية تفضل فأمرني دولة السر عسكر بأن اتشرف بمرافقته إلي حمص حتي أشاهد بنفسى المعركة التي ستقع هناك بينه وبين الباشوات وأناى بناء على ذلك مسافر إلي هناك بمعية دولته عملاً بأمره الكريم . وسبعم من المعروضات المقدمة من الحضرة السر عسكرية أن الحرب وقعت يوم ٩ من شهر صفر الحالى وفي اليوم التالى وهو يوم الأحد تيسر للجيش احتلال حمص وعسكر بها . غير أنى أريد أن أشير إلي أنى ما رأيت حقاً حرباً تجلت فيها ضروب الشجاعة والبسالة والتعريب والنظام إلى أن وصلت إلي هذا السن . فما دام دولته متحلياً بهذه الشجاعة العظيمة والتدابير المحكماتفأنى متأكد من أن الهزيمة دائماً هي نصيب العدو بدون أقل شك في كل معركة سيخوضها ضد دولته من بعد الآن في أية جهة كانت هذا وانتا قاصدون غداً الأثنين حلب الشهباء في أمان الله وسلامته .

١- الموافق ٨ يوليو ١٨٣٢م.

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن معارك ابراهيم باشا كانت تحسم بسرعة للارق التنظيم وحسن القيادة ، والتخطيط المسبق لكل معركة .

وثيقة رقم (١٢)

موضوع الوثيقة : الموقف العسكري العام في بلاد الشام بعد معركة حمص.

تاريخها : ١٢ صفر ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفوظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الإفادة رقم ٦٥ .

من : دولة ابراهيم باشا :

إلى : سامي بك (٢)

حضرة صاحب السعادة والمودة أخي سامي بك .

وصلنا إلى حمص قبل يومين من تاريخ الافادة فوجدنا بها ثمانية باشوات وأربعة الآيات نظامية من البيادة^(٣) وثلاثة الآيات نظامية من السواري وجنود باشيبوزوق^(٤) زهاء خمسة عشر ألف نسمة..... فحملنا علي هذه المجموع حملة عنيفة ودوي في الجو هتاقنا قائلين فليحي محمد علي فلم تلبث أن ابدنا منهم عددا كبيرا بفضل صرامة سيف محمد علي وحدة سونكي ابراهيم فغنمنا كافة الجبه خانة والمهمات والخيم والخيرة والشمانية والعشرين مدفعاً التي كانت معهم وبلغ عدد الجنود المأسورين من النظاميين أكثر من ثلاثة آلاف نسمة حتي بدت علي العدو الذي يلازمه النحس علام الهزيمة والوهن مساء ذلك اليوم

١- الموافق ١١ يوليو ١٨٣٢ م .

٢- سكرتير محمد علي .

٣- المشاة .

٤- الجنود غير النظامية .

من قصف المدافع والبنادق وصلصلة الرماح والسيوف والحراش قلم يستطع الإحتفاظ بمراكزه في حمص وولت فلول جيشه نحو حما ولكنها لم تستطع كذلك الثبات هناك فانسحب جانب منها بدون انتظام إلى عنتاب والجانب الآخر أيضاً بدون انتظام إلى إنطاكية اذن يجب علي الشعب المصري أن لا يتهمنا بالأثم . فها نحن أولاء قد الحقنا الجنة العالية التي تسمى الشام فيما تقدم كما أننا هزمنا العدو الآن والحقنا حمص بالحكومة المصرية وليبلغونا عن رغباتهم وما يطلبون ففي أمكاننا أن نقبل الي اسكندار^(١) باستعمال الضرب بالمدافع والبنادق وباستعمال السيوف وضم الأراضي التي نحتلها . فجنودنا ولله الحمد في غاية القوة والمنعة ونحن حليفنا النصر قاي واحد من جنودنا المنصورة بل أقل واحد منهم لا يتأخر عن تضحية نفسه في سبيل شرف شعبه وتحقيق أمنية سيده ويصول علي العدو ويقاقله كأسد اللد الغالب^(٢) وكل فرد منهم يحمر كلون الورد وتفوح رائحته كشذي الورد وعلي كل أسأل الله تعالى أن يطيل بقاء مولانا سنين كثيرة وأن يقر عينيه بفتوحات كثيرة كهذا الفتح العظيم .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- فداحة خسائر القوات التركية . وسوء موقفها بعد المعركة حيث توزع الجنود القاريون بدون انتظام بين حماه وعنتاب وإنطاكية .
- فخر إبراهيم باشا بالقوات المصرية .
- أعطي النصر « المؤثر » الأمل للقيادة المصرية لمواصلة زحفها حتي الأستانة . وكانت حلب من قبل هي أقصى آمال محمد علي.

وثيقة رقم (١٣)

موضوع الوثيقة : تشتت جيش السردار (حسين باشا) بعد معركة حمص وأثر ضم حلب الي الحكومة المصرية .

تاريخها : ١٩ صفر ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة العريضة رقم ١١١ .

من : دولة ابراهيم باشا :

إلي : جناب الخديوي .

مولاي حضرة صاحب الدولة والمرحمة ولي نعمتي الذي ينعم ولا ين بما أنعم .

لقد قضى علي جيش حمص وتيسر تشتت جيش السردار ثم احتلال حلب الشهباء والاقامة فيها فتم بذلك الحاق ممالك - عربستان (٢) كلها الي الحكومة المصرية كما سيطلع مولاي من التقارير التي رفعت اليه في هذا السبيل وقد علنا من أمركم الكريم الوارد أخيراً أنه يجب الوقوف في حلب وعدم التخطي الي الامام ففهمنا من ذلك أنه يراد أن نقضي الشتاء في حلب غير أن الجيش (مستعداً) (٣) لانه مازال يلبس ملابس الصيف ولم يأخذ معه إلي هنا ملابس الشتوية فإذا كان المقصود من هذا الوقوف في حلب تمضية الشتاء فيها حقيقة كما فهمنا فإنني أرجو مولاي أن يتكرم بإشعاري سريعاً ويعزمه الصادق في هذا الشأن حتي إذا كان المراد تمضية الشتاء هنا يعلم به في الوقت المناسب ويبادر إلي تهيئة ثكنات لاقامة الجيش فيها وعلي كل حال فالأمر لمولاي ،

١- الموافق ١٨ يوليو ١٨٣٢ م .

٢- أي الممالك العربية.

٣- وردت هكذا في الأصل ، ولعل صحتها (ليس مستعداً) .

يستخلص من هذه الوثيقة :-

- لم تكن نتيجة معركة حمص خضوعها مع حلب لمحمد علي ، وإقلا - أيضاً تشتت جيش السردار ، وانفجاع الطريق إلي الأسعانة .

وثيقة رقم (١٤)

موضوع الوثيقة : مطاردة إبراهيم باشا للفلوك جيش السردار بعد معركة حمص .

تاريخها : ٢١ صفر ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفوظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٢١ .

من (٢) :

إلى : سامي بك .

إلى صاحب السعادة أخي سامي بك .

سبق أن أبلغتكم تفصيل المعركة التي دارت في حمص مع محمد باشا والتي حلب وكان النجس^(٣) حسين باشا الذي يسمونه السردار وصل وقتئذ إلى شفور ولما بلغه نبأ الهزيمة توجه إلى حلب مع بعض الجنود المتفرقة التماخذه التي في معبته ولكنني تعقبتهم كالجلاد دون أن أدع لهم فرصة للتنفس حتي وصلت إلي مكان يسمى « تل السلطان » ويقع علي بعد اثنتي عشرة ساعة من حلب ولم يكذب يسمع حسين باشا نبأ وصولنا إلي الموضع المار الذكر مع القوه القاهرة المصرية والجنود الجهادية الباسلة حتي ترك مألديه من الثمانية مدافع والمهمات والذخائر الحربية والحكيم أعني أنه فك قلعه^(٤) كما يفك ملاحر البحر الاسود اللاز^(٥) قلوس سقنهم وقر من جبل إلي جبل ومن زاوية إلي اخري ونشيد : « أين المفر » ووجهته انطاكية واني

١- الموافق ٢٠ يوليو ١٨٣٢ م .

٢- إبراهيم باشا

٣- هي ترجمة « مردار » ولعله اختار هذه الكلمة لمراعاة السجع بينها وبين « السردار » .

٤- سبق التعريف بها .

٥- واللاز جبل يسكن في ساحل البحر الاسود يشتغلون بالملاحة ومنهم محمد بك لازاوغلو (المترجم) .

سيرت فوراً من خلفهم أحمد أغا الولي^(١) أغا القوغوش في بعض فرسان ولما وصل حسين باشا إلى انطاكية أدرك جنوده اليوستانجية التي فيها وهم آلايان أنه سيزرع الخيار في بستانهم ففر كل منهم إلى جهة وهلك معظمهم في القري والجبال من الجرع والعطش وقد رخصت جنود الترك حتي نزلت قيمة كل ثمانية منهم الي فلس واحد وأما نحن فقد استولينا علي حلب واقمنا بها كالاسكندر تحفنا مظاهر الأبهة والعظمة وأخذنا نسن سيوفنا ورماحنا وقد طأطأ العدو المنحوس رأسه أمام سيف محمد علي البتار ورمح إبراهيم قائلاً : « آمنة وصدقنا » هذه هي الأعمال التي قمنا بها حتي الآن وأبلغنا كمروها وإذا حدث شي - بعد ذلك نبلغكموه أيضاً .
صفر سنة ٢٤٨

الختم : سلام علي ابراهيم

١- الترجمة الحرفية لكلمة « ولي » مجنون وهي تطلق في عرف الترك علي الشجاع الذي لا يهاب الموت (المترجم) .

٢- هم صنف من الجنود كانت مهمتهم حراسة القصر السلطاني (المترجم) .
يستخلص من هذه الوثيقة :-

- أن هزيمة الأتراك في حمص قمت قبل وصول جيش السردار إليها .
- أن إبراهيم باشا لم يعط جيش السردار فرصة للاستقرار في مكان .

وثيقة رقم (١٥)

موضوع الوثيقة : مفتي حلب يهدي سروره بإلحاق حلب بحكومة محمد علي .

تاريخها : بدون (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ١٥ بحرياً - ترجمة الوثيقة التركية رقم ٣٠ -

من : السيد أحمد جابري زاده مفتي حلب .

إلى : الجتاب العالي .

يعرض أدعية كثيرة للجتاب العالي ثم يقول إن السرور قد شمله وشمل العالم بإلحاق حلب
الشهباء بحكم دولته ويلتمس شموله بالعطف وأن يكون هذا الإلحاق باعثاً لرفعة شأنه ،

١- المرجع أن يكون بعد ١٨ صفر ١٢٣٨ هـ، الموافق ١٧ يوليو ١٨٤٢ م .

يستخلص من هذه الوثيقة :

- أنه يضم حلب تأكيداً لأمراء الشام أن موقفهم الصحيح سيكون مع محمد علي .

وثيقة رقم (٦)

موضوع الوثيقة : قصيدة فى مدح إبراهيم باشا وانتصاراته.

تاريخها : ٢٤ جماد الأول ١٢٤٨ هـ (١١)

مصدرها : محافظ عابدين : محافظة رقم ٢٣٩ ، ترجمة الوثيقة التركبة رقم ٢٠٤.

من : يوحنا بحرى.

إلى (٢) :

يعرض أن الشيخ أمين الجندى الشاعر المشهور فى حمص قدم اليه قصيدة غراء فى مدح إبراهيم باشا وشارحا خروجه من المحروسة ووصوله الى سوريا وحرره مع الترك وانتصاره عليهم طالبا تقديمها للعتبات العاليه وأن المذكور يأمل شموله بالعناية.

وان الجنراك الروسى السائح وصل الى الشام وكتب كتابا إلى وكيله فى الاسكندرية وطلب منه ارسال الخطاب والاتيان بالرد عليه وطلب ارسال ذلك الكتاب واستحضار الرد ؟

١. الموافق ١٩ أكتوبر ١٨٣٢ م.

٢. يرجع أن يكون للجناب العالى أو سكرتيه.

يستخلص من هذه الوثيقة :

- أن الأمور قد دانت لمحمد على وابنه فى بلاد الشام، وأن أهل الشام قد أصبحوا فى جانب محمد على.

الملحق الرابع

وثائق خاصة بإدارة بلاد الشام
أثناء حروب الشام الأولى

وثيقة رقم (١)

موضوع الوثيقة : طلب مندوب لحكم الشام أثناء توغل إبراهيم باشا في الأناضول .

تاريخها : ٢٣ صفر ١٢٤٨ هـ (١١).

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٦ . ترجمة الوثيقة التركية رقم ١٤٤ .

من : جناب السر عسكر .

إلى : الجناب العالي .

مولاي صاحب الدولة والرحمة ولي المنعم .

قد احطت بمضمون أمركم دولتكم الذي ذكرتم فيه عدم ضرورة إرسال مأمورين إلي ولايتي الشام وصيدا وسألتكم عن المحذور الذي حملني علي ، إشعاركم بهذا الشأن فانه لمن المسلم لدي الواقفين علي الحقائق كانه ولدي مولاي المصروفة هممه القالعة الجبال إلي توسيع الملك والبلاد خاصة ما يترتب من المحاذير علي مثل تلك البلاد الجسيمة التي فتحت لو تركت بدون حكام ولا سيما أن إدارة البلاد إنما تحصل بوجود الرجال وأن توسيع البلاد لا تنتج فائدة مالم توجد هاتان المقدمتان اللتان هما في حكم اللازم والملزوم كما أن دولتكم كنتم ذكرتم حين نذبت إلي هذه الديار انكم سترسلون مأمورين إذا دخلت الشام في قبضة تسخيرنا . ولكن قد اتضح من مضمون أمركم السامي أن إعراضكم عن هذه المسألة بالتسويق ذاكرين قحط الرجال تارة سائلين عن المحذور الذي فيها تارة أخري إنما نشأ عما خطر ببال دولتكم أن المأمورين الذين سيرسلون لن يأمنوا مداخله خادمكم هذا مادمت موجودا في هذه الديار فتبين أن هذا الأمر أجل إلي ما بعد انقضاء شواغل الحرب وانقطاع علاقة هذه الديار عن خادمكم هذا مادمت موجوداً في هذه الديار . ومع هذا كله فان عبيدكم هذا لما كنت خالي المذاق بتاتاً من

جميع لذات الدهر إذ ألفت منذ حادثة سني معالجة السقر الذي هو قطعة من السقر قد كنت
 اخليت دماغي قطعاً وقاطبة من مثل تلك الآمال والأمانى حتي أنني كنت صمت إذ كنت
 بالمرّة أن اللازم زاوية الفراغ مدة لو تم ذلك السفر وفق المرام كما كتبت أطلعت خادمكم سامي
 بك وباقي أفندي علي هذه النية وأنهما ليعلمان هذه الحقيقة ولكن السفر المذكور قد انقلب
 واتعكس بمقتضي (الصورة التي علي بها القدر يعد لنا في تلك الأيام)^(١) من تلك الامنية
 وأجلناها إلي وقتها المرهون أما سفرنا في الحالة الحاضرة فهو سفر من أجل المحافظة علي
 كياننا القومي وتقضي الانسانية علي المرء بأن يفتدي قومه وقبيلته برأسه وروحه فمن أجل ذلك
 عضضنا علي أرواحنا بالشواجز وجمعنا قوتنا وحصرناها في ساعدنا وجبنا أنفسنا بكل
 اهتمام علي إرغام أنوف المخالفين وأزلنا غوائل عكا وحمص والسردار ودخلنا حلب التي هي
 منتهى مهمتنا وانتدابنا كما اتضح ذلك من أمر آخر لدولتكم وبلغنا أمانينا بعون الحق جل
 وعلا، فإن أوان حصول تلك الامنية التي كانت عالقة بخاطري منذ سنين عديدة ولم يبق بهذه
 الملابس محل للملاحظات التي خطرت علي بال دولتكم في ذلك الشأن فللدولتكم الخيار في
 تنفيذ ما تكتونه في ضميركم فتولون من تشاؤون علي ولايات صيدا والشام وحلب وتندبون
 لها رجالا إما من هناك وإما من هنا . أما عبدكم هذا فقد ظللت منذ ثمانية وعشرين عاما
 أجول وأتوغل في الصحاري والبراري تاركاً اللذات الدنيوية كلها علي الوجه الذي قدمت غير
 ملتفت إلي الشتاء ولا إلي الحر والزمهرير ولا مبال بنومي علي الصخور واللاتية ولست مهتما
 بحقوق النفس والبدن وقد جاوز سني حد الأربعين وتعلمون دولتكم أن المرض الذي أصابني في
 العام الماضي قد أورثني خوارا وهزالا وجعلني أشد حاجة إلي الهدوء والراحة والتداعي مدة .
 فأرجو وأتمس من دولتكم أن تعفوني مدة سنتين عن مباشرة الأمر ملكية كانت أو عسكرية

١- يشير إلى تدخل الدول الأوروبية في حروب المورة بما لم يشته محمد علي ولا ابنه إبراهيم .

وتأذتوا في تقوية البدن وتحصيل العافية تارة بدخول (حمامات) (١) الطبرية وتارة بالإقامة في مصايف بر الشام اللطيفة كمصيف بعلبك الذي اشتهر بجودة هوائه وأن تفوضوا امر الجيش الي من ترونه جديراً بالقيام بها وقد تهجس في صدر دولتكم هواجس ملهمة من موقفني هذا أن تقولوا لقد فتح قلعة اشتهرت في الافاق مثل قلعة عكا واستولي علي ولايتين يحق للملوك ان يحسدوهما وهما ولايتا الشام وحلب وأباد جيشي حمص والسردار بحملة واحدة قآن له أن يغتر بذلك . ولكنني أقسم بحق الله تعالي وبحرمة رأس دولتكم أنني لم يخطر بخلدي مثل هذه الافكار أولاً وأخيراً غير أن أعصابي وقواي قد اختلت بطول أمد المسير وتعاقب الأمراض الشديدة فاضطرت إلي تقديم هذا الالتماس . ومن الدليل الواضح علي صدق مدعائي أنني قلت هذا قبل فتح عكا غير مرة فارجو من دولتكم أن لا تلتفتوا إلي مثل هذه (الهواجيس) (٢) أبداً هذا هو أجل ما أضرع به إلي أعتاب دولتكم . وعندما تحيطون بذلك علما يكون الأمر لحضرة مولاي صاحب الدولة والمرحمة ولي النعم الدائمة ،

الختم

سلام علي ابراهيم

١- هكذا في الأصل ، ولعلها (حمامات) .

٢- هكذا في الأصل ، وصحتها (الهواجس) .

يستخلص من هذه الوثيقة : -

- إلحاح ابراهيم باشا لإرسال مندوب من قبل محمد علي لحكم بلاد الشام حتي يتفرغ هو للسرية .

- تسريف محمد علي في إرسال المندوب خشية أن يتدخل ابراهيم باشا في عمله .

- إبعاد ابراهيم باشا هذه الفكرة عن ذهن والده ، متعللاً باعتلال صحته ، وخلق مذاقه بتأتاً من جميع للذات النحر .

وثيقة رقم (٢) .

موضوع الوثيقة : الحاج إبراهيم فى طلب متدوب لحكم الشام بعد
رفض الأمير بشير الشهابى.

تاريخها : ٢٩ ربيع الأول ١٢٤٨ هـ (١)

مصدرها : محافظ عابدين : محفظة رقم ٢٣٧ ، ترجمة الوثيقة التركية رقم ٢٥٦.

من : دولة السر عسكر إبراهيم باشا.

إلى : الجناب العالى.

يشير إلى كتابه السابق الذى إلتمس فيه تعيين حاكم كفاء للبلاد الشامية التى تم فتحها وإرساله إليها على جناح السرعة ليقوم بإدارتها وإلى عدم وصول الحاكم المطلوب حتى الآن ثم يقول : ها نحن أولاء يا مولاي زاحفون الى أدنه ولا يمكننا أن أقوم بإدارة البلاد المذكورة لبعد الشقة بينها وبين أدنه من جهة ولكثرة ما على من الأعمال العسكرية من جهة أخرى وإنتى لذلك أصدرت الى الخواجه حنا^(٢) المقيم بعكا أمرا بأن يتوجه إلى البلاد المشار إليها ليتولى إدارتها مؤقتا ريثما يصل الحاكم وكنت عرضت على الأمير بشير أن يقوم بهذه المهمة فاعتذر مولاي؛ أنظر إلى الخريطة تر أن هذه البلاد المفتوحة من السعة والجسامة بحيث لا أستطيع أنا القيام بإدارتها مع ما على من الأعمال العسكرية وأرى أنه لا يقوم بهذه المهمة من أتباعكم سوى اليك كتخداكم (وكيلكم)^(٣) لذلك أرجو أن ترسلوا سعادته على جناح السرعة ليتولى إدارة شئون البلاد المشار إليها لكيلا تتعطل المصالح،

١- الموافق ٢٦ أغسطس ١٨٣٢م.

٢- سبق التعريف به.

٣- هو شريف بك (باشا فيما بعد) وكيل محمد على وحاكم الصعيد.

يستخلص من هذه الوثيقة :

- بعد رفض الأمير بشير الشهابى حكم الشام أصدر إبراهيم باشا أمره بأن يتولى يرحنا بحرى هذا المنصب لحين وصول متدوب من قبل محمد على.

الملحق الخامس

وصف «كروكي» * لأهم معارك حروب الشام الأولى

١- معركة حمص

٢- معركة بيلان

٣- معركة قونية

* من عمل الباحث .

مؤلة حصص رقم ١

النصر الجيش المصري من الجيش التركي في هذه المؤلة في ٩ يوليو سنة ١٨٣٢ م وكانت قوة الأولى فيها نحو ٣٠٠٠٠ جندي و ٤١ مدفعا وقوة الثاني نحو ٢٥٠٠٠ جندي و ٤٧ مدفعا

الجيشان المصري والتركي في بدء تدببها استعداداً لقتال كاتنا بالنظام الآتي : -

الجيش المصري

الصف الأول : ٣ ألوية يادة : ١٢ حتى يادة (نمرة ٧) و ١٣ حتى يادة (نمرة ٩) و ١٩ حتى يادة (نمرة ١١) ، الألمان من السوري : ٢ حتى سوري (نمرة ٢٩) و ٥ حتى سوري (نمرة ٣٧) بطاريات : (التر ٤١ و ٤٢ و ٤٥) .
الصف الثاني : ٣ ألويات يادة : الأولى الثانية (نمرة ١) و ٥ حتى يادة (نمرة ٣) و ١١ حتى يادة (نمرة ٥) ، الألمان من السوري : ٤ حتى سوري (نمرة ٢٥) و ٧ حتى سوري (نمرة ٣٣) .
الصف الثالث : ٤ بطاريات : (التر ٣٧ و ٣٣ و ٣١ و ٣٩) ، مدفان (نمرة ٣٥) ، مدفات الجيش (نمرة ٣٧) .
الصف الرابع : آلى واحد يادة : ٨ حتى يادة (نمرة ١٣) ، مدفان من اليادة : (نمرة ١٥ و ١٧) ، الألمان سوري : ٣ حتى سوري (نمرة ٢١) ، و ٦ حتى سوري (نمرة ١٩) ، المدفان .

الجيش التركي

الصف الأول : ٤ ألويات يادة : (التر ٨ و ٦ و ٤ و ٢) أمام كل أويمة مدفع .
الصف الثاني : الألمان من اليادة : (نمرة ١٢ و ١٠) أمام كل أويمة مدفع ، الألمان من السوري : (نمرة ١٤ و ١٦) أمام كل آلى منها مدفعان ، سوري غير نظامية : (نمرة ٢٦) .
الصف الثالث : آلى سوري : (نمرة ١٨) ، مدفان من السوري : (نمرة ٢٠) ، سوري غير نظامية : (نمرة ٢٤ و ٢٢) ، مدفعية : (نمرة ٧٨) .

ملحة لمخرطة استخرجها سمو الأمير عمر طوسون من خربة أركان حرب الجيش المصري للتفزة في كتاب (تاريخ حبيب محمد علي الباب الثاني الثاني في سورية وليبيا المصري من سنة ١٨٣١م إلى سنة ١٨٣٣م ، تأليف كادافين ولطو طبع باريس سنة ١٨٣٧م .

"Histoire de la Guerre de Méhémet-Ali contre la Porte Ottomane, en Syrie et en Asie-Mineure," par Cadavéens et Barrault, Paris, 1837.

موقعة بيلان رقم ١

انصر الجيش المصري على الجيش التركي في هذه الواقعة في ٣٠ يوليو سنة ١٨٣٢م وكانت قوة الأولى فيها نحو ١٧٠٠٠ جندي و٢١٠٠٠ مدفعا و٢١٠٠٠ جندي و٢٧ مدفعا

الجيش المصري والتركي في بدء تتيبها استعدادا لقتال كاتنا بالنظام الآتي :

الجيش المصري

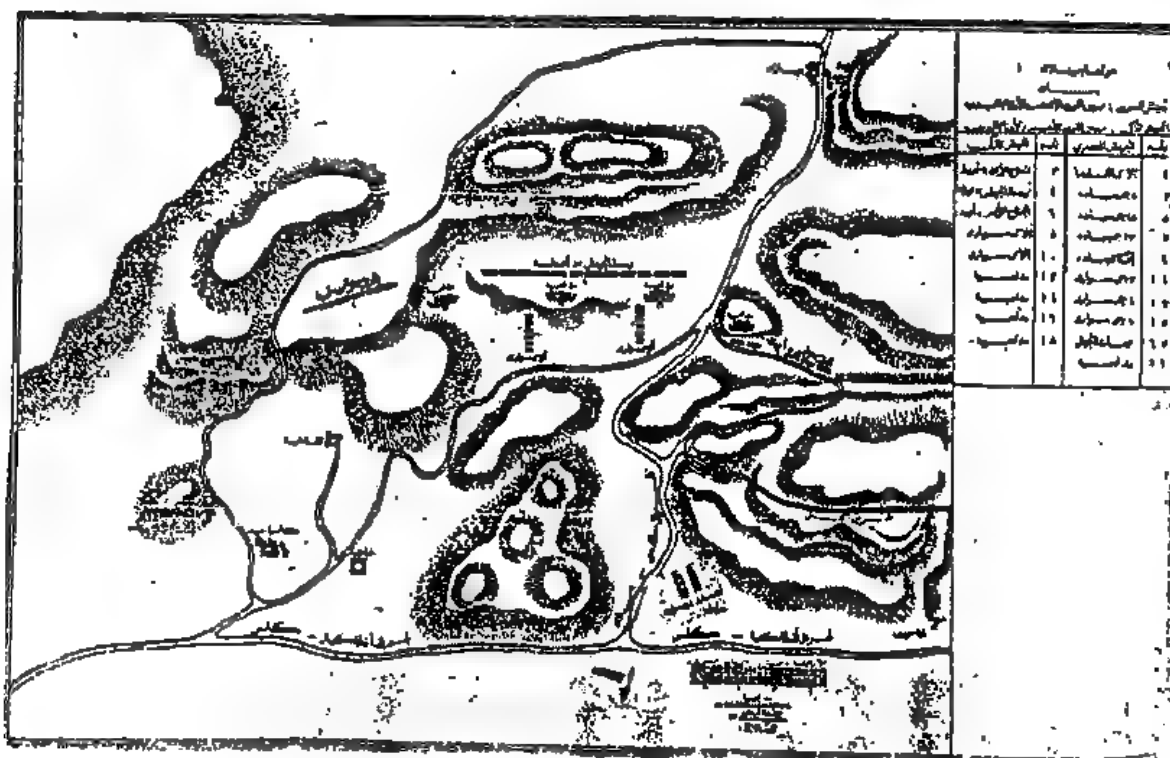
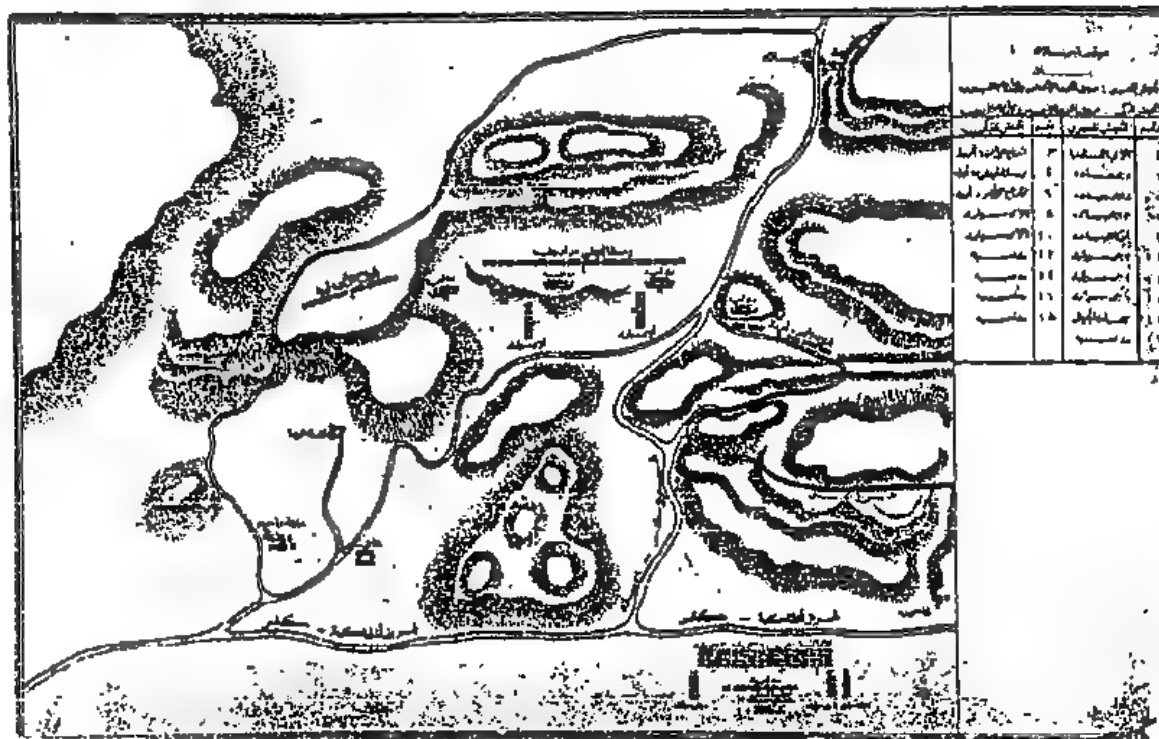
الصف الأول : ٤ الأليات زيادة : الأولى القاريا (نمرة ١) و ٨ جى زيادة (نمرة ٣) و ١٨ جى زيادة (نمرة ٥) و ١٣ جى زيادة (نمرة ٧) .
الصف الثاني : ٣ أليات سوزى : ٢ جى سوزى (نمرة ١١) و ٤ جى سوزى (نمرة ١٢) و ٥ جى سوزى (نمرة ١٥) ، مهمات الجيش (نمرة ١٧) ، مدفعية (نمرة ١٩) .
الصف الثالث : . بركان زيادة (نمرة ٩) .

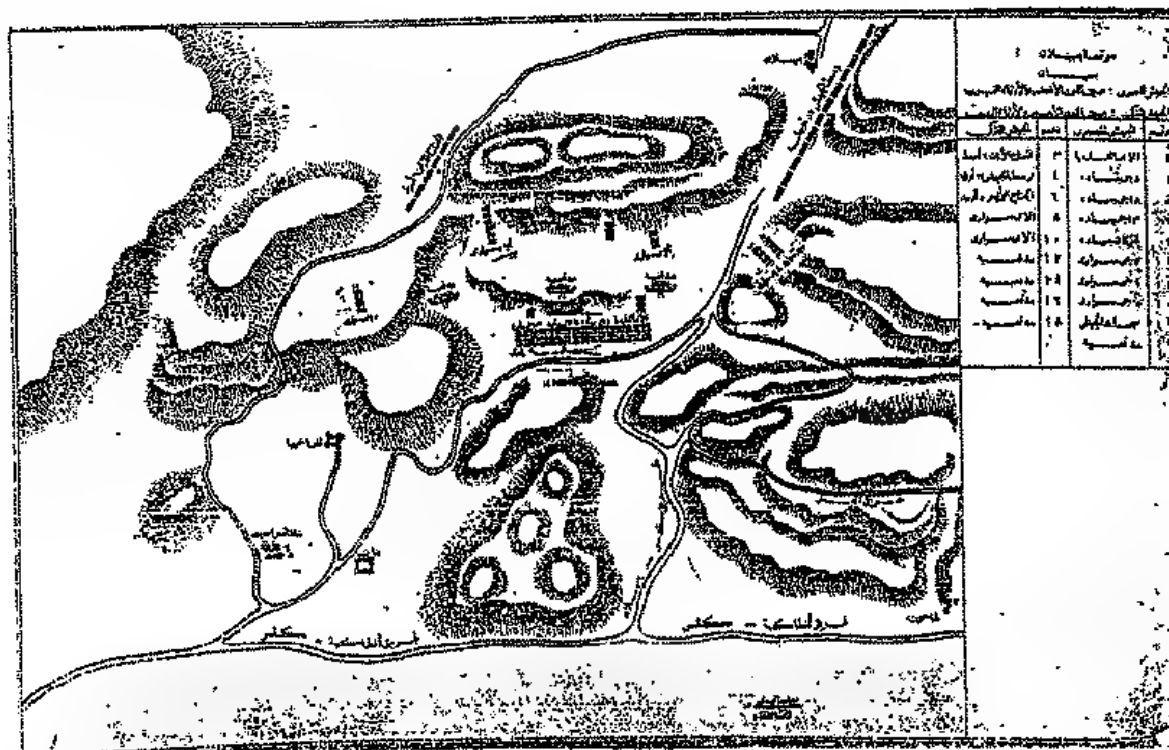
الجيش التركي

وسط الجيش : مكون من ١٢ أروطة زيادة مصطفة بشكل طاوور (نمرة ٤) ولماها بطاريان (نمرة ١٢ و ١٤) وأمام حاتين البطاريين الأيان سوزى في اللقمة (نمرة ٨ و ١٠) .
الجناح الأيمن : ٦ أروط زيادة مصطفة بشكل طاوور (نمرة ٢) ويطارية (نمرة ٢٢) يتبا وبين ال ١٢ أروطة التي في وسط الجيش .
الجناح الأيسر : ٥ أروط زيادة مصطفة بشكل طاوور (نمرة ٦) وخلفها بطارية (نمرة ١٨) .

هذه الخريطة استخرجها سمو الأمير عمر طه من خريطة لركان سوب الجيش المصري المنشورة في مكتب التاريخ حرب محمد علي وكتاب المال السلي في سورية وكسب السري من سنة ١٨٣١م إلى سنة ١٨٣٣م ، تأليف كاتلين وبار طبع باريس سنة ١٨٣٧م .

"Histoire de la Guerre de Méhémet-Ali contre la Porte Ottomane, en Syrie et en Asie-Mineure," par Cadahène et Barrault, Paris, 1897.





موقعة فورية رقم ١

انقصر الجيش المصري على الجيش التركي في هذه الموقعة في ٢١ ديسمبر سنة ١٨٣٢م وكانت قوة الأول فيها نحو ٧٢٠٠٠ جندي و ٣٩ مدفعاً وقوة الثاني نحو ٣٠٠٠٠ جندي و ٤٠ مدفعاً.

الجيش المصري والتركي في هذه تمهينها استعداداً لقتال كافا بالنظام الآتي :

الجيش المصري

الصف الأول : الأي ١٣ حتى زيادة في النقطة رقم (٥) . وأي ١٨ حتى زيادة في النقطة رقم (٩) . وبطارية في النقطة رقم (١٩) في أول حلبة الصف . وأخرى في النقطة ٢١ في وسط . والثالثة في النقطة رقم (٢٣) في أخوه .

الصف الثاني : الأي ١٢ حتى زيادة في النقطة رقم (٣) . وأي ١٤ حتى زيادة في النقطة رقم (٧) . وبطاريتان في النقطين رقم (٢٧ و ٢٥) في وسطها . (ويلاحظ أن الأي ١٢ حتى زيادة تقدمت به أروطة مي ١ حتى ط في النقطة رقم (٣) ، وأن الأي ١٤ حتى زيادة تقدمت به أروطة مي ١ حتى ط في النقطة رقم (٧) . وكان الصف الثاني في هذه تربية الجيش البحارية على ساحة ٣٠٠ خطية خلف المكان الذي هو فيه الآن ولا تشار الشباب وضابط طائف العمر وإصابته له أثر يقتضيه إلى حمله المكان) . وأي الفراديا في النقطة رقم (١) وظلوه بطارية في النقطة رقم (٢٩) . و ليد ٢ حتى سورى للكون من أي ٢ حتى سورى في النقطة رقم (١٣) ومن أي ٤ حتى سورى في النقطة رقم (١٧) . و ليد ١ حتى سورى للكون من أي ١ حتى سورى في النقطة رقم (١١) ومن أي ٣ حتى سورى في سورى في النقطة رقم (١٥) .

الجيش التركي

الصف الأول : ٨٥٥ الأيت زيادة في النقطة رقم (٢ و ٤ و ٦) وعلى يمينها الأيتان من السورى في النقطين رقم (١٦ و ١٨) وعلى يسارها في الجناح الأيسر بمسافة الأيتان لكون من السورى في النقطين رقم (٢١ و ٢٢) .

الصف الثاني : الأيتان من ليدية في النقطين رقم (٨ و ١٠) . وعلى يسارها أي من السورى في النقطة رقم (٢٢) . وعلى يمينها بمسافة أي سورى، آخر في النقطة رقم (٢٠) .

الصف الثالث : الأي زيادة في النقطة رقم (١٢) .

الصف الرابع : الأي زيادة في النقطة رقم (١٤) . والمثلث هزيمة مفرقة أمام الحادوف بدتار أربعة مدافع لكل الأي زيادة وبدعين للأاي السورى .

هذه الخريطة استخرجها سمو الأمير عمر طوبسون من خريطة أركان حرب الجيش المصري المنتصرة في كتاب وتاريخ حرب عهد آل وطلب هناك للمهاجر في سورية وآسيا الصغرى . من سنة ١٨٣٦م إلى سنة ١٨٣٣م وتأليف كاهن ربارو طبع بباريس سنة ١٨٣٧م .

"Histoire de la Guerre de Méhémet-Ali contre la Porte Ottomane, en Syrie et en Asie-Mineure," par Cadilhac et Bernault, Paris, 1837.

خاتمة

من العرض السابق - في ضوء وثائق عابدين - تتضح أهمية الشام لمحمد علي كمقابل لما قدمه للدولة العثمانية، أو استكمالاً لمشروع دولته - أو مشروع ابنه القومي - والتي تبلور مع الموقف نتيجة ضعف الدولة العثمانية . هذا الضعف الذي اتضح بالنسبة لمحمد علي منذ البداية ، حيث فشلت الدولة العثمانية في زحزحته من مصر ، فانطلق بامكانياتها أولاً، ثم برجالها ثانياً ، ليعبر بلاد «عربستان» إلى بلاد الأناضول ، مهدداً العاصمة العثمانية.

علي أننا لا بد أن نقرر أن الأمر لم يكن سهلاً تماماً أمام محمد علي وابنه إبراهيم ، فقد صادفتها صعاب عدة، بدءاً بصلاية قلعة عكا ورجالها ، إلى تلون أهل الشام ، إضافة إلى المقاومة العثمانية المتوالية والكثيفة وإن لم تكن عنيفة.

وإذا كان إبراهيم باشا قد تغلب علي مقاومة الحصار بالإصرار ، وعلي تلون أهل الشام بتلون مائل ، فإنه تغلب علي «الكم» العثماني ، «بالكيف» المصري ، الذي أشيد به في الوثائق أيما إشادة سيما من القائد .

أيضاً ، بأن من الدراسة ، ذلك الصراع المتناغم - ونادراً ما يكون الصراع كذلك - بين السياسي والعسكري .. أو بين محمد علي وابنه إبراهيم .. وتزول الغرابة إذا عرفنا أن الاختلاف كان في التكتيك وليس في الاستراتيجية.

أما الصراع المتفاقم بين المنتصرين «بالفريسة» العثمانية ، فقد زاد أواراً بعد أن عبر محمد علي (بقواته) حدود الممكن ، وكانت حلب أقصى طمرحاته - كما بينت الوثائق - فإذا بالطريق تفتتح أمامه إلى الأستانة .. فكان ما كان من هلع العثمانيين لمقدم محمل علي .. وهلع الروس أن يسبقهم محمد علي .. وهلع المجلترا وفرنسا وقد سبق الروس بقواتهم إلى الأستانة .. فكان صلح كوتاهية .

وبعدها نرصد عدم رضا من كل الأطراف فقد انهزم السلطان ، ولم يحقق محمد علي استقلاله ، كما تضايقت المجلترا وفرنسا من تفوق النفوذ الروسي - إلي حين - في حين لم يحكم الروس قبضتهم علي الأستانة - نتيجة تدخل المجلترا وفرنسا - وانسحبوا بعد قليل . فهل كان عدم الرضي هذا هو الذي فجر الموقف وعجل بحروب الشام الثانية ؟

نعتقد ذلك!

ثبت المصادر والمراجع

أولا : الوثائق

(أ) وثائق غير منشورة

- محافظ بلاد الشام

محافظ أرقام ٢٣ - ٢٣٢ - ٢٣٣ - ٢٣٤ - ٢٣٥ - ٢٣٦ - ٢٣٧ .

- محافظ بحر برا

محافظة أرقام ١٤ ، ١٥ .

(ب) وثائق منشورة

ثانيا : المصادر والمراجع :

(أ) مصادر ومراجع عربية :

١- أحمد صادق سعد : تحول التكوين المصري من النمط الآسيوي إلي النمط الرأسمالي .
دار الحديث ، بيروت ١٩٨١ .

٢- إدوار جوان : مصر في القرن التاسع عشر ، تعريب محمد مسعود ، القاهرة ١٩٢١ .

٣- أسد رستم : المحفوظات الملكية المصرية . بيان بوثائق الشاعم . المجلد الأول - ١٨١٠ .
١٨٣٢ ، بيروت ١٩٤٠ .

٤- إسماعيل سرفتك : حقائق الأخبار عن دول البحار ، المطبعة الأميرية . القاهرة ١٣١٢ هـ .

٥- عبد الرحمن الرفاعي : عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٨٩ .

٦- عبد الرحمن زكي : حملة الشام الأولى والثانية ، بحوث الجمعية الملكية للدراسات

- التاريخية في ذكرى البطل الفاتح إبراهيم باشا مكتبة مذبولي . ١٩٩٠ .
٧. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم : الدولة السعودية الأولى . دار الكتاب الجامعي . القاهرة ١٩٨٧ .
٨. عبد العزيز الشتاوي : الدولة العثمانية . دولة إسلامية مفتري عليها . القاهرة ١٩٨٠ . (٤ أجزاء) .
٩. عبد المنعم الجسيعي : الجيش المصري وفتح عكا . القاهرة ١٩٨٧ .
١٠. عمر طوسون (الأمير) : صفحة من تاريخ مصر في عهد محمد علي . الجيش المصري البري والبحري . مكتبة مذبولي . القاهرة ١٩٩٦ .
١١. عمر عبد العزيز عمر : تاريخ مصر الحديثة والمعاصر . دار المعرفة الجامعية . ١٩٩٣ .
١٢. قليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين . ترجمة كمال اليازجي . بيروت ١٩٥٩ .
١٣. لطيفة محمد سالم : الحكم المصري في الشام ١٨٣١ - ١٨٤١ ، القاهرة ١٩٨٣ .
١٤. محمد رفعت : تاريخ مصر السياسي . المطبعة الأميرية . القاهرة ١٩٣٩ .

(ب) المراجع الأجنبية :

- 1- Crawley, C. W : The Mediterranean, The new Cambridge modern history,
Vol X.
Cambridge 1968.
- 2- Dodwell, Henry : The founder of modern Egypt. Cambridge 1931.
- 3- Gibb Hamilton, Bowen Harold : Islamic Society and the West. Vol 1,
Part 1, Oxford 1953.
- 4- Holt, P. M : Egypt and the Fertile Crescent, 1516 - 1922.
a political history. London 1980.
- 5- Hunter, F. Robert : Egypt under the Khedives , 1805 - 1879, London
1940.
- 6- Little, Tom : Modern Egypt, London 1968.

رقم الإيداع ٩٩/٩٦٢٥

التسجيل الدولي 5 - 009 - 322 - 977

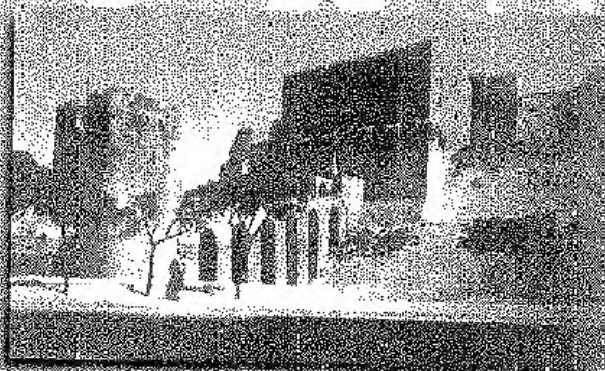
دار الوثائق للطباعة م: ٢٥٥٢٣٦٢ - ٢٥٥٠٦٩٤
٥٢ شارع توبار - جانب السوق



د. محمد رفعت عبد الحازيم

البحر المتوسط وحروب الشام الأولى

دراسة في ضوء وثائق عابدين



صورة الغلاف : قلعة مدينة حلب بالشام

Bibliotheca Alexandrina



0293374



للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية
FOR HUMAN AND SOCIAL STUDIES

To: www.al-mostafa.com